العدول البلاغي في أبواب "وصف القيامة والجنة وجهنم" في سنن الترمذي

إعداد

د/ رقية شحاتة سليم

مدرس البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج – جامعة الأزهر

١٤٤٤هـ = ٢٠٢٣م

العدول البلاغي في أبواب (صفة القيامة والجنة وجهنم) في سنن الترمذي.

د/ رقية شحاتة سليم

تعد ظاهرة العدول من مظاهر تكامل العلوم اللغوية، التي تخدم النص بكافة أنواعه؛ ذلك لأن العدول ظاهرة أسلوبية مَعْنِية بالخروج عن الأصل وكسر القاعدة اللغوية بكافة صورها، البلاغية والنحوية والصرفية والصوتية والمعجمية، وتتكاتف هذه الأنواع لخدمة النص والسياق وحالي المتكلم والمخاطب، فكثيرًا من صور العدول النحوي التركيبي داخلة في إطار العدول البلاغي، مثل: التقديم والتأخير، والحذف، والتعريف والتنكير، والالتفات، وكذلك الأمر فإن من صور العدول الصرفي ما يدخل تحت العدول البلاغي، مثل: العدول بين الأبنية والصيغ الصرفية والاسمية والفعلية، كذلك ترتبط بعض مظاهر العدول الصوتي الخاص بالحروف ومخارجها بالفصاحة وخلوص الكلام من التنافر والثقل ومخالفة القياس بفك الإدغام، وكذلك الأمر فإن العدول المعجمي المرتكز على التبادل بين المفردات متعلق بالبلاغة ومناسبة اللفظة لسياقها وحسن اختيارها.

ومن جانب آخر فإن تطبيق ظاهرة العدول على النص النبوي تعد أيضًا من مظاهر التكامل بين العلوم اللغوية والشرعية، فعلم البلاغة يخدم علم الحديث؛ وذلك للوقوف على دلالات النص الصحيحة، ولبيان بلاغة اللسان النبوي الشريف.

ومن أهمية هذه الدراسة: بيان بلاغة النبي ﷺ في أساليبه البلاغية الخارجة على خلاف مقتضى الظاهر –وهو ما يسمى بالعدول البلاغي–؛ وذلك للكشف عن بلاغته ﷺ في جميع أقوله، الخارج منها على مقتضى الظاهر، والخارج منها على خلاف مقتضى الظاهر، فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وتحصل هذه المطابقة بأسلوبين رئيسين، هما: خروج الكلام

على مقتضى الظاهر، وخروجه على خلاف مقتضى الظاهر.

ويهدف هذا البحث إلى إثبات أن كثيرًا من المفاهيم الأسلوبية الحديثة لها أصول وجذور في تراثنا العربي بوجه عام، وتراثنا البلاغي بوجه خاص، وذلك من خلال استنباط بعض أساليب العدول البلاغي من بعض أبواب سنن الإمام الترمذي، متمثلة هذه الأبواب في: (صفة القيامة–صفة الجنة–صفة جهنم)، مع بيان مناسبة هذه الأساليب لمقتضى الحال.

الكلمات المفتاحية: العدول البلاغي– سنن الترمذي.

Abstract

The phenomenon of justice is one of the manifestations of the integration of sciences, which serves the text of all kinds. This is because retraction is a stylistic phenomenon concerned with breaking the linguistic rule in all its forms, grammatical, morphological, rhetorical, phonetic, and lexical (), and these types combine to serve the text, context, and the present of the speaker and the interlocutor. And disavowal, and attention, as well as the matter, among the forms of morphological equivalence is what falls under rhetorical equivalence, such as: equivalence between buildings and formulas, nominal and verbal, as well as some manifestations of phonological equivalence related to letters and their exits with eloquence and speech clearance from dissonance and heaviness and violating analogy by deciphering diphthongs, and the same is the matter .

Lexical based on the exchange between vocabulary is related to rhetoric and the appropriateness of the word to its context and good choice On the other hand, the application of the phenomenon of nullification to the prophetic text is also one of the manifestations of integration between the linguistic and legal sciences. The science of rhetoric serves the science of hadith. This is to

find out the correct semantics of the text, and to demonstrate the eloquence of the honorable prophetic tongue..

Among the importance of this study: an explanation of the eloquence of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, in his rhetorical methods that contradict the apparent requirements; This is to reveal his eloquence, peace and blessings of Allah be upon him, in all of his sayings, the outside of which is in accordance with what is apparent, and the outside of it is contrary to what is required by the apparent.

This research aims to prove that many of the modern stylistic concepts have origins and roots in our Arab heritage in general, and our rhetorical heritage in particular, by deriving some methods of rhetorical justice from some of the chapters of Imam al-Tirmidhi's Sunnahs, represented by these chapters in: (The adjective of the resurrection - the adjective Paradise - the adjective of Hell), with an indication of the appropriateness of these methods as the case may be.

Keywords: rhetorical justice - Sunan al-Tirmidhi.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على أفصح العرب أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فإن البيان النبوي منهل زاخر للدراسة البلاغية؛ لما حوته أحاديث نبينا ﷺ من صنوف البلاغة وألوان الفصاحة، فهو البيان الذي خرج من مشكاة النبوة على لسان من أُوتي جوامع الكلم ﷺ، فكان بيانًا بليغًا في جميع أحواله، الخارج منه على مقتضى ظاهر الحال، والخارج منه على خلاف مقتضى الظاهر – وهو ما يسمى **بالعدول**–.

والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ظاهره وباطنه، فـ "مقتضى الظاهر ومقتضى خلافه كلاهما مقتضى الحال، كما أن ظاهر الحال وباطنه كلاهما حال"(١)، فخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لسر بلاغي، يعد من البلاغة الأسمى، والإبداع الراقي، فهو عدول عن الظاهر وعدول عن الأصل وقواعد اللغة، مما يثير الانتباه، ويوقظ الفكر والعقل، ويكشف عن لطائف خفية، ودلائل جلية، "فالكلام وإن خالف ما يقتضيه الظاهر، فإنه قد وافق ما يقتضيه المعنى ويتطلبه"(٢).

والعدول ظاهرة أسلوبية مَعْنِية بكسر القاعدة اللغوية بكافة صورها، البلاغية والنحوية والصرفية والصوتية والمعجمية(٣)، فهذه الظاهرة تعد من

---

(١) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم– لعصام الدين الحنفي– ٢٤٣/١–حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي–الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٢) من بلاغة النظم القرآني–دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم– د/ بسيوني عبد الفتاح فيود ص١٢٧– مؤسسة المختار للنشر والتوزيع–الطبعة الأولى ١٤٣١هـ=٢٠١٠م.

(٣) ينظر: مقاصد العدول الصرفي في سورة البقرة د حشلافي لخضر– جامعة الجلفة– كلية الآداب واللغات والفنون– الجزائر– المجلد ٢٠١٥– العدد ٤(S) ص١٨٩.

مظاهر التكامل بين العلوم اللغوية، فكثير من أساليب العدول البلاغية تكون قاسمًا مشتركًا بين علم البلاغة وعلم النحو والصرف والدلالة، ثم تتكاتف هذه الأنواع لخدمة النص والسياق وحالي المتكلم والمخاطب، ومن هنا فإن الوقوف على أساليب العدول البلاغية وبيان أسرارها من الأهمية بمكان.

وتهدف هذه الدراسة إلى ربط البلاغة الحديثة بالبلاغة القديمة، من خلال الوقوف على ظاهرة أسلوبية لها جذور تراثية، ثم تبنتها الدراسات الحديثة بالعناية والاهتمام والدراسة المستقلة، فسيقف–بمشيئة الله– هذا البحث على ظاهرة العدول البلاغي تنظيرًا وتطبيقًا، **متبعًا المنهج** الوصفي القائم على وصف الظاهرة من خلال كلام السابقين والمحدثين، ثم التطبيق على بعض أبواب سنن الترمذي، بقراءة جميع أحاديث هذه الأبواب، واستخراج ما ظهر لي من أساليب العدول، مع بيان أسرارها البلاغية، وبيان مدى ملائمة هذه الأساليب لسياقاتها.

وآثرت الكتابة في هذا البحث لعدة أسباب، منها:

– شرف الدراسة في البيان النبوي الشريف، فدراسته عبادة نتقرب بها إلى الله تعالى.

– الكشف عن إحدى ظواهر بلاغة البيان النبوي، فهو في قمة البيان البشري.

– ربط الأواصر بين الأصالة والمعاصرة.

وأما عن الدراسات السابقة، فمنها:

– جمالية العدول في التراث البلاغي– د/ خيرة حمر العين– مجلة جذور– النادي الأدبي الثقافي بجدة–٢٠٠٣م.

– العدول بين القدماء والمحدثين دراسة نقدية– د/ محمد مبروك جمعة– حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة– العدد الخامس والعشرون– المجلد الثاني–٢٠٠٧م.

- العدول وعلاقته بالبلاغة العربية- د/ إلهام أحمد سليمان-جامعة القاهرة- كلية دار العلوم-٢٠١٦م.
- العدول الأسلوبي في التراث البلاغي والنقدي- د/ بشير إبراهيم محمد - مجلة الساتل- جامعة مصراتة-٢٠١٩م.

وقد أفدت منها جميعًا، حيث فتحت لي نافذة تنظير الظاهرة، فكان ذلك عونًا على تطبيقها.

وجاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد ومبحثين.

اشتملت المقدمة على أهمية الموضوع، وهدفه، ومنهجه، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، وخطته.

واشتمل التمهيد على ثلاثة محاور، هي:

أولًا- العدول بين القدماء والمحدثين (تعريفه، نشأته وجذوره في التراث البلاغي، نظرة المحدثين إليه).

ثانيًا- فصاحة الرسول ﷺ وبلاغته.

ثالثًا- نبذة موجزة عن الإمام الترمذي وكتابه.

وأما المبحث الأول، فهو مبحث تنظيري، جاء بعنوان: من أساليب وصور العدول البلاغي من خلال كتب التراث.

وأما المبحث الثاني، فهو مبحث تطبيقي، جاء بعنوان: من أساليب وصور العدول البلاغي في أبواب سنن الترمذي محل الدراسة.

ثم جاءت الخاتمة، وفيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصياته، ثم ثبت المراجع.

والله أسأل التوفيق والسداد والرشاد

التمهيد

أولًا- العدول بين القدماء والمحدثين:

العدول في اللغة مأخوذ من عَدَلَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْدِلُ عَدْلًا وعُدولًا: حَادَ، وَعَنِ الطَّرِيقِ: جَارَ، و "العين والدال واللام" أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج، فالأول العدل من الناس: المرضي المستوي الطريقة، وأما الأصل الآخر فيقال في الاعوجاج: عدل، وانعدل، أي انعرج(١).

أي إن المعنى اللغوي يدور حول الانحراف والانتقال من حالة إلى أخرى.

والعدول في الاصطلاح له عدة تعريفات كلها تدور حول خروج الكلام عن الأصل وعن مقتضى الظاهر، ومن هذه التعريفات ما يلي:

العدول، هو: "انحراف الكلام عن نسقه المثالي المألوف"(٢)، وهو: خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة(٣)، وهو: مغايرة وانحراف على نحو معين عن القواعد والمعايير المثالية التي تحكم اللغة العادية(٤).

---

(١) ينظر: مادة "ع د ل" في: مقاييس اللغة لابن فارس المحقق: عبد السلام محمد هارون- الناشر: دار الفكر-عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ولسان العرب لابن منظور- الناشر: دار صادر- بيروت-الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

(٢) البلاغة والأسلوبية د/ محمد عبد المطلب ص٢٦٨- مكتبة لبنان- ناشرون-بيروت- الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

(٣) ينظر: البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني- د/ تمام حسان- ص٣٤٧-عالم الكتب للنشر- الطبعة الأولى ١٤١٣هـ=١٩٩٣م، وينظر: المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة-د/ تمام حسان ص٢٨-مجلة فصول- الهيئة المصرية العامة للكتاب- سبتمبر ١٩٨٧م.

(٤) ينظر: نظرية اللغة في النقد العربي د/عبد الحكيم راضي- ص٢٠٩-المجلس الأعلى للثقافة-الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

وظاهرة العدول مظهر من مظاهر البلاغة العالية؛ لأن المتكلم يسلكها لتحقيق غرض بلاغي ودافع نفسي ليطابق مقتضى الحال، يقول الشيخ عبد المتعال الصعيدي عن خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر: " هذا باب من البلاغة أوقع في النفس من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر؛ لدقة مسلكه، وحسن موقعه في النفس"(١).

جذور ظاهرة العدول في كتب التراث(٢).

ظاهرة العدول من القضايا الأسلوبية الحديثة التي لها جذور عميقة في التراث القديم، فظاهرة العدول بمعناها المعاصر وأساليبها وردت على لسان القدماء إما بمصطلح العدول ذاته، وإما بمصطلحات أخرى تقاربها أو تماثلها في المعنى، مثل مصطلح المخالفة، والانحراف، والالتفات، والنقل، والانصراف، فهذه المصطلحات وجدت في كتب اللغويين والبلاغيين كثيرًا (٣)، وهي

(١) بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ٤٥/١- الناشر: مكتبة الآداب-الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٢) بتصرف – وزيادة من خلال البحث في كتب التراث- من: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية "التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة" د/ عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي ص١٥٢، وما بعدها، المكتبة العصرية- بيروت -٢٠٠٨م، وينظر: بلاغة العدول في البنية التركيبية في سورة الملك – د/ عبده محمد صالح ص٢٤٤ وما بعدها- مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية- العدد ع١١-٢٠١٤م.

(٣) ورد لفظ النقل عند ابن المعتز في كتابه البديع، حيث عقد بابًا سماه النقل ينظر: البديع لابن المعتز ص٢٠٥، كما ورد لفظ النقل عند الإمام عبد القاهر في مثل حديثه عن المجاز ينظر: دلائل الإعجاز ص٦٦، ٣٦٧، وفي حديثه عن التقديم والتأخير الدلائل ص١٠٦، وورد لفظ المخالفة عند ابن جني في مثل حديثه عن مخالفة الكلمات لبعضها في الإعراب ينظر: الخصائص ١٧٦/١، وعند حديثه عن العدول بين الصيغ ٣٧٦/١، كما ورد لفظ المخالفة عند العلوي في مثل حديثه عن العدول بين حروف الجر الطراز ٣١/٢، وعند حديثه عن الالتفات الطراز ٧٥/٢، وورد لفظ الانحراف عند ابن جني في مثل حديثه عن العدول بين الصيغ الخصائص ١٨٣/٣، ٣/ ٢٧١.

مصطلحات تمثل ظاهرة العدول بعينها.

فنجد ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)عقد بابًا سماه مخالفة ظاهر اللفظ معناه، وذكر نماذج من أساليبه مع التمثيل لها، وذلك مثل: الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع، ومنه أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير، ومنه أن يأتي على مذهب الاستفهام وهو تعجب، ومنه جمع يراد به واحد واثنان...[١].

كما نجد الظاهرة جلية عند ابن جني(ت٣٩٢هـ)، يذكرها بلفظها في مواضع عدة، فيذكرها عند حديثه عن العدول بين صيغ الأفعال في "باب في اللفظين على المعنى الواحد يردان عن العالم متضادين"، حيث يقول: "فلما عدلا عن فَعل إلى فِعل وفُعل وأبدلت لاماهما تاء..."[٢].

ويقول عند كلامه على المجاز: "وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة، وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه"[٣]، كما عقد بابًا سماه "باب: في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف" وتحدث فيه عن العدول بين الحروف[٤]، كذلك عقد بابًا سماه "باب في قوة اللفظ لقوة المعنى:" وذكر فيه العدول بين الصيغ والأبنية للمبالغة، حيث يقول: "فلما كانت فعيل هي الباب المطرد وأريدت المبالغة، عدلت إلى فعال"[٥].

كذلك عقد بابًا سماه شجاعة العربية، تحدث فيه عن الأساليب الخارجة عن القواعد اللغوية، حيث يقول: "اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص١٧٠ :١٨١- المحقق: إبراهيم شمس الدين- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٢) الخصائص لابن جني ١/ ٢٠٢-الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب-الطبعة: الرابعة.

(٣) الخصائص ٢/٤٤٤.

(٤) الخصائص ٣/٢٠.

(٥) الخصائص ٣/٢٧١.

والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف."[١].

وسُمي الباب شجاعة العربية؛ لأن فيه اجتراء على نظام تلك اللغة بالانحراف عن أنماطها والخروج عن صورتها المثلى[٢].

واستعمل أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥هـ) والرماني(ت ٣٨٤هـ) والباقلاني (ت ٤٠٣هـ) مصطلح العدول بلفظه عند حديثهم عن الفرق بين الأبنية والصيغ، والعدول من صيغة إلى أخرى للمبالغة[٣].

كذلك لم تغب ظاهرة العدول بلفظها ومعناها عن فكر الإمام عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)، فنراه يستعمل لفظ العدول في أكثر من موضع، فعند حديثه عن المجاز اللغوي، يقول: "وإذا عُدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وُصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعَه الأصليَّ، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أوَّلًا"[٤].

كذلك يقول عند حديثه عن الكناية: "فتركَ أنْ يُصرِّحَ فيقولَ: "إنَّ السماحةَ والمروءةَ والندى لمجموعةٌ في ابنِ الحَشْرج، أو مقصورةٌ عليه، أو مختصَّة به"، وما شاكَلَ ذلك مما هو صريحٌ في إثباتِ الأوصافِ للمذكورين بها، وعدَلَ إلى

---

(١) الخصائص ٣٦٢/٢.

(٢) ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية – د حسن طبل ص٤٤–دار الفكر العربي– القاهرة – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص١٩٦ الفرق بين "الرحمن والرحيم"– حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم–الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، وينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني ص١٠٤– المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام– الناشر: دار المعارف بمصر– الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م، و ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص٢٧٣–المحقق: السيد أحمد صقر– الناشر: دار المعارف – مصر–الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.

(٤) أسرار البلاغة ص٣٩٥–قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر–الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

ما تَرى مَن الكناية والتَّلويح، فجعل كونَها في القُبَّة المضروبةِ عليه"[١].

كما أن ظاهرة العدول تعد مظهرًا من مظاهر تطبيق نظرية النظم عند الإمام، فالعدول إلى الحذف أو التقديم والتأخير أو التعريف والتنكير أو المجاز لغرض بلاغي هو مظهر من مظاهر توخي معاني النحو حسب الأغراض التي تؤم، وهذا هو المقصود من قضية النظم عند الإمام، فالإمام ذكر أن التوخي يكون لمعاني النحو وليس لقواعد النحو، أي إن المراد هو استعمال معاني النحو حسب الغرض وليس حسب القاعدة النحوية، فتكون بذلك قضية النظم مشتملة على خروج الكلام على القاعدة النحوية وعلى كسرها والانحراف عنها، والمعول هو الغرض والسياق.

كذلك نرى الإمام الزمخشري(ت ٥٣٨هـ) يربط بين لفظ العدول والالتفات، فيقول: "فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان..."[٢].

كما تحدث عن العدول بين الحروف، فقال: "فإن قلت: لم عدل عن "اللام" إلى «في» في الأربعة الأخيرة ؟ قلت: للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره" [٣]، كذلك تحدث عن العدول بين الصيغ، فقال: " فإن قلت: لم عدل عن ضيق إلى ضائق؟ قلت: ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت"[٤].

---

(١) دلائل الإعجاز ص٣٠٧ المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر–الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة–الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) الكشاف للزمخشري ١٣/١الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت–الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .

(٣) الكشاف ٢/ ٢٨٣.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٨٢.

وجاء السكاكي (ت ٦٢٦هـ) –وتبعه شراح مفتاحه– وتحدث عن الظاهرة تحت مسمى خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وبين أنها قسمًا مناظرًا لخروج الكلام على مقتضى الظاهر في حسن الكلام وقبحه، حيث قال: " لما تقرر أن مدار حسن الكلام وقبحه على انطباق تركيبه على مقتضى الحال وعلى لا انطباقه"(١)، وبين بلاغتها، حيث قال: " وقد عرفت فيما سبق أن إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر طريق للبلغاء يسلك كثيرًا بتنزيل نوع مكان نوع باعتبار من الاعتبارات"(٢)، وذكر بعض أساليبها، مثل: تنزيل غير السائل منزلة السائل، وتنزيل غير المنكر منزلة المنكر، والمنكر منزلة غير المنكر، ووضع المضمر موضع المظهر، وعكسه، ووضع اسم الإشارة موضع الضمير، والالتفات(النقل)، والأسلوب الحكيم، والتعبير عن المستقبل باسمي الفاعل والمفعول، والقلب(٣).

ومخالفة الظاهر، هي: "اشتمال الكلام المركب على جزء مخالف في ظاهره لنسق ذلك التركيب الكلي، مراعاة لما يقتضيه الحال من تلك المخالفة"(٤).

كما نص السكاكي على لفظ العدول في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله: " والعدول عن التصريح باب من البلاغة يصار إليه كثيرًا"(٥).

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ١/١٧٥. ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور– الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان–الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

(٢) مفتاح العلوم ١/٢٣٨.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم ١/ ١٧٢: ١٧٤، ١/ ١٩٧: ٢٠٤، ١/ ٣٢٧، وينظر: الإيضاح ص٩٢: ١٠٣.

(٤) مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم– ظافر ابن غرمان العمري– ص٩– رسالة دكتوراه– جامعة أم القرى–المملكة العربية السعودية ٢٠٠٤م.

(٥) مفتاح العلوم ١/١٨١.

كذلك ذكر السبكي(ت٧٧٣هـ) صورًا أخرى لخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، مثل: انتقال الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر، وتذكير المؤنث وعكسه، ونفي الأخص والمراد نفي الأعم وعكسه(١).

وكذلك ابن الأثير(ت ٦٣٧هـ) استعمل لفظ العدول في عدة مواضع، منها عند حديثه عن اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها، حيث يقول: "ومن هذا النوع ألفاظٌ يُعْدَل عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها، ولا يُسْتَفْتَى في ذلك إلّا الذوق السليم، وهذا موضع عجيب لا يُعْلَمُ كُنْه سِرِّه."(٢).

ويقول: "واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان، أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة"(٣).

وكذلك الأمر عند العلوي(ت ٧٤٥هـ) يذكر لفظ العدول في مواضع عدة، منها عند حديثه عن المجاز، حيث يقول: "ولا يعدل إلى المجاز إلا لدلالة، فإذا، المجاز على خلاف الأصل لا محالة"(٤).

وعند تعريفه للالتفات، حيث يقول: "هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول"(٥).

---

(١) عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي ١/ ٢٩٣: ٢٩٨-المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي-الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٢) المثل السائر لابن الأثير ١/ ٢٩٧-المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة- الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

(٣) المثل السائر ١٤٥/٢.

(٤) الطراز للعلوي ٤٣/١- الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت-الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ.

(٥) الطراز للعلوي ٧١/٢.

كما ذكر العدول عند حديثه على الانتقال من المضارع إلى الماضي، فقال: " لأن إيثار الماضي والعدول إليه دال على مبالغة في الثبوت والاستقرار "[١].

ومن هذا العرض السابق لكلام علماء التراث البلاغي تبين أن قضية العدول بلفظها ومعناها قضية ذات جذور تراثية متينة.

قضية العدول في الدراسات البلاغية العربية المعاصرة:

اعتنت بعض الدراسات البلاغية العربية المعاصرة بعدة قضايا ومظاهر بلاغية أسلوبية، فأولتها بالعناية الاهتمام بدراستها دراسة مستقلة وجمع شتاتها ومتناثرها من كلام العلماء القدامى وكتب التراث، مما يبرز القضية في شكل متكامل الأركان، ومن هذه القضايا: قضية العدول والخروج على خلاف مقتضى الظاهر، حيث قامت عدة دراسات على هذه الظاهرة تنظيرًا وتطبيقًا[٢].

وظاهرة العدول في الدراسات الحديثة عبر عنها بعدة مصطلحات، منها: الانحراف، والانزياح، والاختلال، والانتهاك، والمخالفة، والاطاحة، وخرق السنن[٣].

والانزياح هو: "استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصورًا يخرج بها عما هو معتاد ومألوف" [٤]، و الانحراف هو " استخدام العناصر اللغوية، التي

---

(١) الطراز ٢/٧٥.

(٢) ومن هذه الدراسات دراسة الدكتور محمد عبد المطلب في كتابه البلاغة والأسلوبية حيث عقد فصلًا باسم العدول ص٢٦٧، ودراسة الدكتور عبد الحكيم راضي في كتابه نظرية اللغة في النقد العربي، حيث عقد فصلًا عن المثالي والمنحرف ص١٩٣، ودراسة الدكتور تمام حسان في كتابه البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، حيث عقد فصلًا سماه الأسلوب العدولي ص٣٤٥.

(٣) ينظر: الأسلوبية والأسلوب د عبد السلام المسدي ص ١٠٠، ١٠١- الدار العربية للكتاب- ليبيا-الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.

(٤) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية- د/ أحمد محمد ويس- ص٧- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت-الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

تكشف عن استعمال غير مألوف في التعامل مع اللغة" [١]، والانتهاك يدور حول اختراق قواعد اللغة، ويرى الدكتور "أحمد ويس" أن هذا المصطلح يحمل من الشبهات ما لا يستطيع مصطلح آخر أن يحمله، وأنه مصطلح غير جدير بأي معنى فني، والنقد الأدبي في غنى عن مثله[٢].

واخترت لفظ العدول عنوانًا لبحثي؛ لاتصال هذا اللفظ بالموروث العربي القديم، حيث شاع وكثر استعماله في كتب التراث العربي.

وترى الدراسات المعاصرة أن اللغة من الناحية الإبداعية لها مستويان، الأول: يطلق عليه المستوى العادي النمطي، والثاني: يسمى الفني والإبداعي، والمستوى الأول يمثله السير على القواعد والأصول، أما المستوى الثاني فيمثله انتهاك المثالية واختراق القواعد والأصول والخروج عن مقتضى الظاهر، بغية الوصول بالنص إلى درجة أعلى من الإبداع[٣].

وذكرت بعض الدراسات الحديثة أنواعًا عدة لظاهرة العدول، منها: العدول الصرفي ويتمثل في الصيغ والمشتقات، والعدول المعجمي، وهو العدول عن لفظة إلى لفظة أخرى لها معنى ودلالة أخرى، وعدول صوتي متمثلًا في التغييرات الصوتية، والعدول النحوي الذي يحدث في التراكيب النحوية، والعدول البلاغي، وهو ما يسمى بخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر[٤].

---

(١) الانحراف مصطلحا نقديا–د موسى ربابعة– مؤتة للبحوث والدراسات– العلوم الإنسانية والاجتماعية– ص١٤٤– مج ١٠–ع٤–١٩٩٥.

(٢) ينظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ص٦١.

(٣) ينظر: نظرية اللغة في النقد العربي د عبد الحكيم راضي ص١٩٣، ١٩٤.

(٤) ينظر: العدول وعلاقته بالبلاغة العربية – د/ إلهام سليمان الكركي– ص٤٦٥: ٤٦٧– جامعة القاهرة–كلية دار العلوم–٢٠١٦م– ع٩١.

ثانيًا- فصاحة الرسول ﷺ وبلاغته.

يعد البيان النبوي في قمة البيان البشري، فهو الكلام البليغ الذي خرج من مشكاة النبوة على لسان من أوتي جوامع الكلم، محمد ﷺ أفصح العرب لسانا، وأقواهم حجة وبيانًا، يقول الجاحظ: " لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلّى الله عليه وسلّم كثيرًا" (١).

ومن أسباب فصاحته ﷺ الفيض الإلهي، والإعداد الرباني، والاصطفاء، ونور القرآن وهديه، ومن أسباب فصاحته أيضًا نشأته ﷺ، حيث نشأ في أمة بليغة، فكانت الفصاحة أكبر أمرهم، فالنبي ﷺ نشأ في أفصح القبائل وأعذبها بيانا، فكان مولده في بني هاشم، وأخواله في بني زهرة، ورضاعه في بني سعد، ومنشؤه في قريش (٢).

ثالثًا- نبذة عن الإمام الترمذي وكتابه:

الإمام الترمذي، هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، تتلمذ للبخاريّ، وشاركه في بعض شيوخه. وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ(٣).

ويعد كتاب سنن الترمذي من أشهر مؤلفات الإمام، وأطلقت عليه عدة تسميات، وأصحها "الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١٤/٢- الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت-عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

(٢) ينظر: مقال بلاغة القرآن والسنة للدكتور محمد أبو العلا الحمزاوي-٨ أبريل ٢٠٠٩م.

(٣) ينظر: الأعلام للزركلي٣٢٢/٦- الناشر: دار العلم للملايين-الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

الصحيح والمعلول وما عليه العمل"، وهو ضمن الكتب التي عرفت باسم الكتب الستة.

رتب الإمام كتابه حسب الأبواب والعناوين الفقهية، إضافة إلى بعض الأبواب التي تحتوي على مواضيع أخرى مثل: التفسير، وصفة القيامة، وغيرها.

وللكتاب شروح عديدة، منها:

- عارضة الأحوذي في شرح الترمذي للإمام أبي بكر الإشبيلي، المعروف بابن العربي المالكي.
- قوت المغتذي على جامع الترمذي للحافظ جلال الدين السيوطي.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباكفوري.
- العرف الشذى على جامع الترمذي، لسراج الدين البلقيني الشافعي[١].

وسيعتمد هذا البحث على طبعة سنن الترمذي-تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)- وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر-الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

مع استبعاد الأحاديث التي حكم عليها بالضعف.

(١) ينظر: مقال كتاب سنن الترمذي- بواسطة Alaa Hejjo- ٧ أكتوبر ٢٠١٨م-موقع mawdoo3.com.

المبحث الأول

من أساليب وصور العدول البلاغي من خلال كتب التراث

تعددت وتنوعت أساليب العدول البلاغي وصوره في كتب التراث كثيرًا، فجاءت متناثرة في أبواب علم المعاني، والبيان، والبديع، وجاء كثير من هذه الأساليب قاسمًا مشتركًا بين علم البلاغة والعلوم اللغوية الأخرى، مثل: علم النحو والصرف والأصوات والمعاجم والدلالة، مما جعل ظاهرة العدول من الظواهر الأسلوبية اللغوية التي تمثل نموذجًا للتكامل بين العلوم.

وجدير بالذكر بيان الفارق بين نظرة البلاغة ونظرة باقي العلوم اللغوية لظاهرة العدول وأساليبها، فعلوم النحو والصرف والدلالة تكون نظرتهم قاصرة على بيان مخالفة الأسلوب للقاعدة والأصل، وأما البلاغة فتكون نظرتها إلى بيان سر المخالفة ودواعيها، فالنحوي ينظر إلى التراكيب من حيث ما تقتضيه الصنعة الإعرابية، أما البلاغي فينظر إلى التراكيب من حيث الأثر المترتب على مخالفة القواعد، فالنحوي يُقَدِّر ليعطي القواعد حقها، وأما البلاغي فيحرص على رعاية صفة المخالفة لمقتضى الحال(١).

وعند النظر إلى أساليب العدول وصوره نجد أنها متناثرة في كلام العلماء السابقين(٢)، سواء عُبر عن هذه الأساليب بلفظ العدول أو بألفاظ أخرى تدل عليه.

فأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ) يذكر المجاز ولكن ليس بمعناه الاصطلاحي بأنه ضد الحقيقة، بل يتسع مدلوله عنده ليشمل ألوانًا كثيرًا من ظاهرة التحول الأسلوبي، مثل: التعبير بالمفرد عدولًا عن الجمع، وعكسه، والعدول من الخطاب إلى الغيبة، وعكسه، والعدول عن المضارع إلى الماضي

(١) بتصرف وزيادة من نظرية اللغة في النقد العربي ص٢٠٩.

(٢) بتصرف من أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية د حسن طبل ص١١، وما بعدها.

وعكسه...[١].

وبهذا النهج- أيضًا- يورد ابن قتيبة بعض مظاهر العدول، سالكًا مسلك أبي عبيدة، حيث يقول: وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه. ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص مع أشياء كثيرة ستراها في أبواب المجاز إن شاء الله تعالى"[٢].

كذلك ظهرت بعض أساليب العدول في باب شجاعة العربية عند ابن جني[٣]، وعند الإمام عبد القاهر في مثل حديثه عن المجاز الحكمي، والمجاز اللغوي، والاستعارة والكناية[٤]، وعند السكاكي والخطيب ومن تبعهم من شراح التلخيص فيما أسموه بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر[٥].

وعند ابن الأثير فيما تناوله في باب الالتفات، مثل: العدول بين الضمائر، والعدول بين الصيغ والأبنية، سواء صيغ الأفعال أو الأسماء، والعدول بين التثنية والإفراد والجمع، والعدول بين الألفاظ باستبدال كلمة بأخرى، والعدول بين

---

(١) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة المقدمة ص٩، وما بعدها-المحقق: محمد فواد سزگين- الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة-الطبعة: ١٣٨١ هـ.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٢٢- المحقق: إبراهيم شمس الدين-الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٣) ينظر: الخصائص ٣٦٢/٢.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز ص٣٠٧، وأسرار البلاغة ص٢٦١، ٣٩٥ .

(٥)ينظر: مفتاح العلوم ١/ ١٧٢: ١٧٤، ١/ ١٩٧: ٢٠٤، ١/ ٣٢٧، وينظر: الإيضاح ص٩٢: ١٠٣، وينظر: عروس الأفراح ١٩٣/١، وما بعدها.

حروف الجر، والعدول بين الاسمية والفعلية[١].

كذلك الأمر عند العلوي، ففي "مجال التطبيق لا يقف العلوي في فهمه للعدول عند باب الالتفات، إنما يجعله شاملًا لكل انحراف أو خروج على القاعدة أو الأصل، سواء أكان ذلك متعلقًا بالألفاظ أم بالأساليب والتراكيب، فتحدث عن العدول من صيغة إلى صيغة بإيثار كلمة على أخرى، وعن العدول في الإعراب من وجه إلى وجه، والعدول عن استخدام حرف من الحروف إلى استخدام حرف آخر، وهو ما يعرف بالتناوب أو تناوب حروف الجر، والعدول في مباحث التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والفصل والوصل، وغير ذلك من المباحث"[٢].

ومن خلال البحث في بعض كتب التراث نجد أن من صور وأساليب العدول البلاغي ما يلي:

العدول عن قواعد أضرب الخبر" تأكيد الخبر":

وهي قاعدة مشتركة بين علم النحو والبلاغة، متمثلة في مراعاة حال المخاطب تجاه الخبر الملقى إليه من حيث التأكيد بـ "إن" وعدمه، فأصل هذه القاعدة ما رواه ابن الأنباري من حوار دار بين الفيلسوف الكندي وأبي العباس المبرد في الفرق بين "عبد الله قائم"، و "إن عبد الله قائم"، و "إن عبد الله لقائم"، حيث خفي على الفيلسوف الفرق بين هذه الأساليب الثلاثة، وظن أن الألفاظُ متكررةٌ والمعنى واحدٌ، فرد عليه أبو العباس بأن المعاني مختلفةٌ لاختلافِ الألفاظِ، فقولُهم: "عبدُ الله قائمٌ"، إخبار عن قيامه، وقولهم: "إن عبدَ الله قائمٌ"، جوابٌ عن سؤالِ سائلٍ، وقولهم: "إنَّ عبدَ اللهِ لقائمٌ"، جوابٌ عن إنكارِ مُنْكِرٍ

(١) ينظر: المثل السائر ١/ ٢٩٧، ٢/١٤٥، ٢/١٩٠، ٢/١٩٧، ٢/١٩١.

(٢) العدول بين القدماء والمحدثين دراسة نقدية- د/ محمد مبروك جمعة- ص٢٦- حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة- العدد الخامس والعشرون-المجلد الثاني-٢٠٠٧م، وينظر: الطراز للعلوي ٢/ ٢،٧٩/ ٧٤، ٢/ ٣١.

قيامَهُ، فقد تَكرَرَّت الألفاظُ لتكرُّرِ المعاني[١].

وعند مخالفة هذه القاعدة يكون عدولًا عن الأصل وخروجًا بالكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ويكون هذا بليغًا عندما تكون هذه المخالفة لأغراض بلاغية لمراعاة مقتضى الحال[٢].

ويظهر العدول عن هذه القاعدة في ثلاث صور، وهي:

١- تنزيل خالي الذهن منزلة السائل إذا قُدم إليه ما يُلّوح له بحكم الخبر، فيستشرف هذا المخاطب للخبر استشراف الطالب المتردد، فعندئذ يأتي الكلام مؤكدًا بمؤكد مخالفًا لأصله، وهو عدم التأكيد، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾[٣]، فقوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ جعل المقام مقام أن يتردد المخاطب في أنهم هل صاروا محكومًا عليهم بالإغراق أم لا؟، فنزل منزلة الطالب، لذا جيء بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ مؤكدا، أي محكوم عليهم بالإغراق [٤].

٢- تنزيل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار فيأتي الكلام مؤكدًا بأكثر من مؤكد مخالفًا لأصله، وهو ترك التوكيد، مثل قول الشاعر:

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ص٣١٥، و ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني–المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن المرادي المصري– ص١٣١– المحقق: د فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل–الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز ص٣٢٥، ٣٢٦، وينظر: المطول لسعد الدين التفتازاني ص٤٩: ٥٣– الناشر المكتبة الأزهرية للتراث– ١٣٣٠هـ.

(٣) هود: ٣٧.

(٤) ينظر: المطول ص ٤٩، ٥٠.

جاء شقيق عارضًا رمحه ... إن بني عمك فيهم رماح

" فإن مجيئه هكذا مدلًّا بشجاعته قد وضع رمحه عرضًا لدليل على إعجاب شديد منه، واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد. كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح" (١).

٣- تنزيل المنكر منزلة غير المنكر إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن الإنكار فيأتي الكلام خاليًا من التأكيد مخالفًا لأصله، وهو التأكيد(٢)، وذلك مثل قولك لمن ينكر الإسلام: الإسلام حق.

المجاز العقلي:

وهو إسناد الفعل، أو معناه، إلى ملابس له، غير ما هو له بتأول(٣)، فالأصل يكون بإسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي، وبمخالفة الأصل يكون العدول.

يقول الإمام عبد القاهر أثناء حديثه عن المجاز الحكمي "العقلي" الذي يكون في الإسناد: " أن تنظر إلى المعنى المثبت أعني: ما وقع عليه الإثبات كالحياة في قولك: «أحيا الله زيدًا»، والشيب في قولك: «أشاب الله رأسي»، أثابت هو على الحقيقة، أم قد **عدل** به عنها؟"(٤).

ومن علاقات المجاز العقلي(٥) الفاعلية والمفعولية، وفيهما يكون العدول بين الصيغ والأبنية من صيغة "فاعل" إلى صيغة "مفعول" والعكس، مثل: "ماء دافق" أي: مدفوق، و"سيل مُفعَم" أي: مُفعِم، **وعلى هذا يكون العدول مشتركًا بين علمي البلاغة والصرف.**

---

(١) الإيضاح ١/٧٥.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم١/ ١٧٢، وما بعدها، والإيضاح ص٢٤ وما بعدها.

(٣) الإيضاح ص٢٨.

(٤) أسرار البلاغة ص ٢٦١.

(٥) ينظر علاقات المجاز العقلي في الإيضاح ص٢٨.

كذلك علاقة الزمانية والمكانية تكون عدولًا في الصيغ، مثل: "نهاره صائم" أي: مصوم فيه، و "ليله قائم" أي: مُقام فيه[١]، و "طريق سائر" أي: مُسار فيه.

والعدول بين الصيغ بوجه عام تحدث عنه علماء كثر، منهم: ابن فارس في باب التعويض[٢]، وابن الأثير حيث عقد له فصلًا سماه "قوة اللفظ لقوة المعنى"، وقال فيه: " اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولًا"[٣].

الحذف:

الحذف عدّه ابن جني من شجاعة العربية؛ لأنه إقدام على مخالفة العربية في قواعدها وسننها[٤]، وأشاد به الإمام عبد القاهر؛ لما فيه من لطائف وأسرار خفية[٥].

والحذف أسلوب من أساليب العدول، فهو "إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل"[٦]، والأصل هو الذكر[٧]،"والحذف خلاف الأصل"[٨].

---

(١) ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ص١٥٦.

(٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس ص١٨٠ الناشر: محمد علي بيضون–الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

(٣) المثل السائر ٢/ ١٩٧.

(٤) ينظر: الخصائص لابن جني ٣٦٢/٢.

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز

(٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٠٢/٣. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم–الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م–الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

(٧) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ص٨٠٢– المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله–الناشر: دار الفكر–دمشق–الطبعة: السادسة، ١٩٨٥، و نظرية اللغة في النقد العربي ص٢٠٨.

(٨) البرهان ١٠٤/٣.

والعدول بالحذف **مشترك بين علم النحو والبلاغة والأصوات**–فعندما يكون الحذف للتخفيف على اللسان أو البعد عن الثقل يكون العدول صوتيًا وبلاغيًا(١)–، و" الْحَذف الَّذِي يلْزم النَّحْوِيّ النّظر فِيهِ هُوَ مَا اقتضته الصِّنَاعَة وَذَلِكَ بِأَن يجد خَبرًا بِدُونِ مُبْتَدأ أَو بِالْعَكْسِ أَو شرطًا بِدُونِ جَزَاء أَو بِالْعَكْسِ..."(٢).

وأما البلاغي فينظر إلى أغراض الحذف ودواعيه، فذكر علماء البلاغة أغراض ودواعي حذف المسند إليه(٣)، وأغراض ودواعي حذف المسند(٤)، وأغراض حذف المفعول ومتعلقات الفعل(٥)، والأسرار البلاغية المترتبة على هذا الحذف، كذلك تحدث علماء البلاغة عن الحذف في باب الإيجاز والإطناب، حيث عدوا الحذف أحد نوعي الإيجاز، وذكروا عدة صور للحذف، منها :حذف جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة(٦).

التقديم والتأخير:

تخضع التراكيب العربية إلى نمط وقواعد في ترتيبها، فالفعل يقدم على الفاعل، والفاعل يقدم على المفعول، والعامل يقدم على المعمول، والمبتدأ يقدم على الخبر، والصفة تتبع الموصوف، والحال تتبع صاحبها، إلى غير ذلك من قواعد الترتيب.

---

(١) مثل حذف الحرف في قوله تعالى: "ولم أك بغيا" أصلها أكن حذفت النون تخفيفا، ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني– لمحمد بن علي الصبان١/٣٤٠ – الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان–الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م.

(٢) مغني اللبيب ص٨٥٣ .

(٣) ينظر: الإيضاح ص٣٧ وما بعدها.

(٤) ينظر: الإيضاح ص٨١ وما بعدها.

(٥) ينظر: الإيضاح ص١٠٣.

(٦) ينظر: الإيضاح ص١٧٧.

والخروج عن هذه القواعد يمثل عدولًا ومخالفة، فالتقديم والتأخير هو" أن تخالف عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق، فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم"(١).

ولا يكون التقديم بلاغيًا إلا إذا كان له غرض، يقول سيبويه: "كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى"(٢)، وتحدث علماء النحو عن قواعد التقديم والتأخير من خلال حديثهم عن حفظ الرتبة(٣)، والرتبة هي "موقع الكلمة ذات المعنى النحوي بالنسبة إلى موقع كلمة أخرى، وفق البناء الأصلي للتركيب"(٤).

وتحدث علماء البلاغة عن أغراض التقديم والتأخير، فذكروا أغراض تقديم المسند إليه(٥)، وتقديم المسند(٦)، وتقديم المفعول والمعمول(٧)، كما عدوا التقديم طريقًا من طرق القصر(٨).

---

(١) ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي د/ صالح عبد العظيم الشاعر– مقال على الشبكة العنكبوتية ينظر موقع: https://www.academia.edu/.

(٢) الكتاب لسيبويه ١/ ٣٤ المحقق: عبد السلام محمد هارون–الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة–الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(٣) ينظر: الأصول في النحو لابن السراج باب التقديم والتأخير ٢/٢٢٢–المحقق: عبد الحسين الفتلي– الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

(٤) الوظيفة الإبداعية لأسلوبية الرتبة وأثرها في تشكيل المعنى القرآني ص١.

(٥) ينظر: الإيضاح للقزويني ص٥٦. الناشر: دار إحياء العلوم – بيروت–الطبعة الرابعة، ١٩٩٨.

(٦) ينظر: الإيضاح ص١٠٠.

(٧) ينظر: الإيضاح ص١١١.

(٨) ينظر: الإيضاح ص١٢١.

وضع المظهر موضع المضمر والعكس:

ذكره السكاكي وتبعه شراح التلخيص ضمن أساليب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر(١)؛ لأن الأصل كما قال الزركشي: "واعلم أن الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة وأصل المحدث عنه كذلك والأصل أنه إذا ذكر ثانيًا أن يذكر مضمرًا للاستغناء عنه بالظاهر السابق"(٢).

فوضع المضمر موضع المظهر عدول عن الأصل إلى الفرع، ومثل له علماء البلاغة والنحو بمثل: ضمير الشأن والقصة، وضمير نعم وبئس مع فارق النظرة بين النحوي والبلاغي، فالبلاغي يذكر الأسرار واللطائف، والنحوي يشير إلى مخالفة القواعد(٣).

وجاء الحديث عن وضع المظهر موضع المضمر مفصلًا عند الإمام الزركشي، حيث بين الأسرار البلاغية لذلك(٤)، وذكر الإمام عبد القاهر بلاغة وضع المظهر موضع المضمر في مثل قوله: "ولن تبلغَ الكنايةُ مبلغَ التصريح أبدًا"(٥)، وقوله أيضًا: "أو ما علمْتَ أنَّ الكنايةَ والتعريضَ لا يَعْملان في العقولِ عَمَلَ الإيضاح والتَّكشيفِ"(٦)، ويقصد بالكناية الضمير، فالضمير لا يعمل عمل الاسم الظاهر في الكشف عن المراد.

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم ١/ ١٩٧، والمطول لسعد الدين التفتازاني ص١٢٧، وحاشية الدسوقي ١/ ٦٩٩. المحقق: عبد الحميد هنداوي– الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤٨٤/٢.

(٣) ينظر: الطراز للعلوي ٢/ ٧٦: ٧٩، والكتاب لسيبويه ١٧٥/٢، وما بعدها. باب ما لا يعمل في المعروف إلا مضمرا.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٨٣، وينظر: أساليب بلاغية لأحمد مطلوب ص٢٤٩، ٢٥٠–الناشر: وكالة المطبوعات – الكويت–الطبعة: الأولى، ١٩٨٠ م.

(٥) دلائل الإعجاز ١٦٨.

(٦) الدلائل ١٦٩.

الالتفات:

ذكره السكاكي ضمن أساليب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر(١)، والالتفات "هو انتقال الكلام من أسلوب من التكلم والخطاب والغيبة إلى أسلوب آخر غير ما يترقبه المخاطب"(٢)، والانتقال من أسلوب إلى آخر هو العدول ذاته.

ويعد الالتفات من أشهر أساليب العدول؛ لأن كلا من المعدول عنه والمعدول إليه مذكور في العبارة.

ولا يكون العدول بليغًا إلا لسر وغرض، يقول الزمخشري عن سره البلاغي العام: " فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان... وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد"(٣).

وجدير مما يشار إليه أن بعض العلماء قد وسع دائرة الالتفات فلم يقصرها على العدول بين الضمائر، بل عدها كل تحول وخروج وانتقال أسلوبي، فالالتفات عندهم مسمى لظاهرة العدول ذاته، فالالتفات عندهم هو نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى مطلقًا(٤).

وعلى هذا الرأي لا يشترط أن يكون كل من المعدول عنه والمعدول إليه موجودًا في السياق، فقد يكون المعدول عنه أمرًا خارجيًا، يقول السبكي:

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم ١/ ١٩٨، ١٩٩.

(٢)المطول ص ١٣١.

(٣) الكشاف للزمخشري ١/ ١٤.

(٤) ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ص٢٤، وينظر: عروس الأفراح ١/ ٢٧٢.

"فحاصله أن الالتفات عند السكاكي إتيان الكلام على أسلوب مخالف لأسلوب سابق مطابقًا أو لم يسبقه غيره والمعنى يقتضي خلافه"(١).

ومن أمثلة صور الالتفات على رأي من وسع دائرته ما يلي(٢):

- التفات بين الضمائر(التكلم والخطاب والغيبة).
- التفات بين صيغ الأفعال (الماضي والمضارع والأمر) والأسماء(فعول، مفاعلة...).
- التفات في العدد (الإفراد والتثنية والجمع).
- التفات بين المضمر والمظهر.
- التفات بين تذكير الضمير وتأنيثه.
- التفات وعدول بين الأدوات والحروف.
- التفات في الإعراب.

وهي كلها صور مشتركة بين علم البلاغة والنحو والصرف.

الأسلوب الحكيم:

وهو" تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهًا على أنه الأولى بحاله أو المهم له"(٣).

وهو من الأساليب التي عدها السكاكي من الخروج على خلاف الظاهر، فقال: "ولهذا النوع أعني إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر أساليب متفننة إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة على ما تنبه على ذلك منذ اعتنينا بشأن هذه الصناعة وترشد إليه تارة بالتصريح وتارات بالفحوى، ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يتشرب

(١) عروس الأفراح ١/ ٢٧٣.

(٢) ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ص٥٥.

(٣) الإيضاح ص٧٦.

من أفانين سحرها ولا كأسلوب الحكيم فيها"[١].

فهذا الأسلوب من أساليب العدول؛ لما فيه من عدول عن المعنى المقصود إلى خلافه، كذلك" الأصل في الجواب أن يكون مطابقًا للسؤال إذا كان السؤال متوجهًا وقد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيهًا على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك"[٢].

القلب:

وهو "أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه"[٣]، وعده السكاكي من أساليب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فقد يُقلب الكلام مراعاة لسر وغرض بلاغي.

وتحدث علماء النحو عن هذا الأسلوب وعدوه من العدول، يقول ابن جني: "والقلب في كلامهم كثير. وقد قدمنا في أول هذا الباب أنه متى أمكن تناول الكلمة على ظاهرها لم يجز العدول عن ذلك بها، وإن دعت ضرورة إلى القول بقلبها كان ذلك مضطرًا إليه لا مختارًا "[٤].

وذكره ابن هشام ضمن فنون كلام العرب[٥]، وذكر السبكي نوعي القلب، وهما لفظي ومعنوي[٦].

---

(١) مفتاح العلوم ٣٢٧/١.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٤٢/٤.

(٣) المطول ص١٣٧.

(٤)الخصائص ٨٤/٢.

(٥) ينظر: مغني اللبيب ص٩١١.

(٦) ينظر: عروس الأفراح ٢٨٨/١.

مخالفة قواعد تقييد الفعل بالشرط بـ "إن، وإذا، ولو":

ومن هذه القواعد: أن الأصل هو استعمال "إن" في الاحتمال والشك وعدم الجزم بوقوع الشرط، و"إذا" للجزم بوقوعه(١)، وعند مخالفة هذه القاعدة يكون العدول، فقد تستعمل إن في مقام الجزم، وتستعمل إذا في مقام الشك وعدم الجزم لأغراض بلاغية(٢).

ومن هذه القواعد أيضًا أن الأصل في جملتي "إن وإذا" أن تكونا فعلية استقبالية، وعند المخالفة يكون العدول، فقد تأتي جملة الشرط أو الجزاء أو كلتاهما اسمية أو فعلية ماضوية لغرض(٣).

ومن القواعد أيضًا أن "لو" أصلها للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط، وعند المخالفة يكون العدول، فقد يأتي بعدها اسمًا او فعلًا مضارعًا، وذلك لسر بلاغي، يقول التفتازاني: "فلا يعدل في جملتيها عن الفعلية الماضوية إلا لنكتة"(٤).

كذلك قد يعدل بـ "لو" فتستعمل في التمني وليس للشرط (٥).

التغليب:

وهو " إعطاء الشيء حكم غيره. وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر أو إطلاق لفظة عليهما إجراء للمختلفين مجرى المتفقين"(٦).

---

(١) ينظر: مغني اللبيب ص٣٤٩، ومعاني النحو ٤/٧١،٦٩ د. فاضل صالح السامرائي- الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن-الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، والمطول ص١٥٤.

(٢) ينظر: الإيضاح ص٨٨، ٩٠، المطول ص١٥٤: ١٥٧.

(٣) ينظر: الإيضاح ص٩٢، والمطول ص١٦٢، وما بعدها، وينظر أغراض مجيء فعل الشرط ماضيًا في معاني النحو ٤/٥٥: ٦٥.

(٤) المطول ص١٧٠.

(٥) ينظر: الإيضاح ص١٣٠.

(٦) البرهان في علوم القرآن ٣/٣٠٢.

وهو من أساليب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ويكون التغليب في أمور كثيرة، منها: تغليبُ المذكّر على المؤنّث، وتغليب الكثير على القليل، وتغليب المعنى على اللفظ، وتغليب المخاطب على الغائب، وتغليب أحد المتناسبين أو المتشابَهيْن أو المتجاوريْنِ على الآخر، وتغليب العقلاء على غيرهم، إلى غير ذلك من أمور(١).

وهو من أساليب العدول؛ لأن " الأشياء كلَّها أصلها التذكير ثم تختصَّ بعد"(٢)، ويقول التفتازاني: "وجميع باب التغليب من المجاز لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له"(٣).

مخالفة بعض قواعد الفصل والوصل:

ومن ذلك عطف الجملة الاسمية على الفعلية والعكس، فالأصل تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية، يقول الخطيب القزويني: "ومن محسنات الوصل تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية وفي المضي والمضارعة، إلا لمانع كما إذا أريد بإحداهما التجدد وبالأخرى الثبوت"(٤).

مخالفة بعض قواعد القصر:

مثل التبديل بين "إنما" و "النفي والاستثناء" في الاستعمال، فأصل القاعدة تكون باستعمال "إنما" في الأمر المعلوم الذي لا يجهله المخاطب ولا ينكره، واستعمال "النفي والاستثناء" في الأمر الذي يجهله المخاطب وينكره(٥)، وعند

---

(١) ينظر: البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ١/ ٤٧٨- الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

(٢) الكتاب لسيبويه ٢٤١/٣، وينظر: مفتاح العلوم ١٤٧/١.

(٣) المطول ص١٥٩.

(٤) الإيضاح ص١٦٠، و ينظر: مفتاح العلوم ٢٧١/١، ٢٧٢، عروس الأفراح ٥٤١/١.

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز ص٣٣٠، ٣٣٢.

المخالفة يكون العدول لغرض بلاغي[١]، وقد ذكره السكاكي ضمن الخروج على خلاف مقتضى الظاهر[٢].

مخالفة بعض قواعد باب الإنشاء:

فمن العدول استعمال المعاني السياقية لأساليب الإنشاء الطلبي التي هي من مستتبعات التراكيب، فأصل الاستفهام هو "طلب حصول صورة الشيء في الذهن"، وأصل الأمر "طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء"، وأصل النهي: "طلب الكف عن الفعل استعلاء"، وأصل النداء "طلب الإقبال بحرف نائب مناب ادعو لفظًا أو تقديرًا"[٣].

وعند مجيء هذه الأساليب لأغراض أخرى يكون عدولًا عن أصل استعمالها، يقول د/ عبد العزيز عتيق: "وكذلك الشأن بالنسبة لأساليب الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، فقد يخرج كل منها عن معناه الأصلي لغرض بلاغي بديع، أراده المتكلم من الخروج عما يقتضيه ظاهر الكلام"[٤].

ومن العدول أيضًا استعمال "ليت" للترجي، فأصلها للتمني، و "لعل"، و"عسى" هما للرجاء، والفرق بين التمني والرجاء أن الرجاء يكون في الممكن القريب حصوله، وأما التمني يكون في الممكن بعيد المنال، وفي المستحيل[٥]، وعلى هذا يكون استعمال "ليت" في الأمر قريب المنال لغرض بلاغي من العدول.

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ص٣٣١: ٣٣٤، الإيضاح ص١٢٣، وما بعدها، و المطول ص٢١٧، وما بعدها.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم ٢٨٩/١.

(٣) المطول ص٢٢٦، ص٢٣٩، ص٢٤١، ص٢٤٤.

(٤) علم المعاني د/ عبد العزيز عتيق ص٤١- الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٨٠/٣-المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

ومنه التمني بـ "لعل"، والتمني يكون للأمر المحال أو بعيد المنال، وأصل "لعل" الرجاء ويكون في الأمر قريب الحصول(١)، وعلى هذا يكون التمني بـ "لعل" من العدول.

ومن القواعد أيضًا: اختصاص "هل" بالأفعال، وعند المخالفة يكون العدول، فقد يأتي بعدها اسمًا لغرض بلاغي(٢)، يقول الدسوقي: "إذا عدل بها عن موالاتها الفعل كان للاعتناء بالمعدول إليه"(٣).

ومن العدول أيضًا مناداة المنادى القريب بـ "يا" التي تكون في الأصل للبعيد(٤).

ومن العدول أيضًا: استعمال الخبر موضع الانشاء لغرض بلاغي(٥)، ووضع الإنشاء موضع الخبر–وهو قليل نادر– لغرض(٦)، وهذا من مخالفة الكلام لمقتضى الظاهر والعدول عن الأصل(٧).

التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية:

وهذا ما يسمى بالعدول البياني، الذي يكون في أساليب علم البيان.

والاستعارة والمجاز والكناية من الأساليب المشتركة بين العدول البلاغي، والعدول المعجمي الدلالي؛ لأن اللفظ اسُتعمل في غير معناه الأصلي المعجمي، بل عُدل به إلى معنى آخر مقصود.

---

(١) ينظر: الإيضاح ص١٣١، و المطول ص٢٢٦.

(٢) ينظر: الإيضاح ص١٣١، وما بعدها، والمطول ص٢٣١.

(٣) حاشية الدسوقي ٢/ ٣٤٩.

(٤) ينظر: الإيضاح ٢٧٩.

(٥) ينظر: الإيضاح ص١٤٤، والمطول ص٢٤٦.

(٦) ينظر: الطراز للعلوي ١٦٢/٣.

(٧) ينظر: البلاغة العربية ١/ ٥١٢.

يقول الإمام عبد القاهر: "الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل الكائن على حَدِّ الاستعارة"، وكلُّ ما كان فيه، على الجملةِ، مَجازٌ واتساعٌ وعُدُولٌ باللفظ عن الظاهر"(١).

ويقول أيضًا: " وإذا عُدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وُصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعَه الأصليَّ، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أوَّلًا"(٢).

ويعد التشبيه من أساليب العدول، على رأي من جعل التشبيه من المجاز، مثل ابن أبي الأصبع، حيث يقول: " والمجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة، كالاستعارة والمبالغة والإشارة، والإرداف، والتمثيل، والتشبيه، وغير ذلك مما **عدل** فيه عن الحقيقة"(٣).

"فالتشبيه يتأكد بعده الفني من خلال أنواع العدول والانزياحات التي تعتريه سواء كان بحذف بعض عناصره، أو بالإغراب في تشبيه المتباعدات أو في قلب طرفي الصورة التشبيهية"(٤).

ومما يتأتى فيه العدول: الاستعارة التبعية التي تكون في حروف الجر(٥)، وتسمى بقضية **التضمين** وإنابة الحروف مناب بعضها(٦)، يقول د الخضري:

---

(١) دلائل الإعجاز ص٤٣٠.

(٢) أسرار البلاغة ٣٩٥.

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن- لابن أبي الأصبع ص٤٥٧- تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف-الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

(٤) المنظومة الاصطلاحية للبلاغة العربية وأهميتها في التحليل البلاغي د/ مسعود بودحة ص٢٥- مجلة مقاليد العدد الثاني ديسمبر ٢٠١١م-جامعة سطيف- الجزائر.

(٥) مثل قول البلاغيين في قوله تعالى: " وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ" ينظر: حاشية الدسوقي ٣٦٣/٣.

(٦) يقول ابن جني: " اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدَّى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر" الخصائص ٣١٠/٢.

"وحبذا لو جعلنا وقوع الحرف في غير موقعه من باب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وصرفنا الهمم إلى البحث في أسباب هذا الخروج وأغراضه"(١).

وتحدث ابن الأثير والعلوي عن العدول بين حروف الجر في أكثر من موضع(٢).

وأما الكناية، فهي انتقال من الدلالة الظاهرة إلى الدلالة الخفية، انتقال من المعنى- المعنى المعجمي- إلى معنى المعنى- المعنى الكنائي المقصود- كما ذكر الإمام عبد القاهر(٣).

تجاهل العارف:

وهو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة(٤)، وهو من العدول والخروج على خلاف الظاهر " إذْ الأمور التي تجري على طبيعتها بالتِّلْقائيّة أن يتكلّم العارف بالأمر على وفق معرفته له، ولكن قد تدعوه بلاغيّة إلى التظاهر بالشّكّ أو الجهل"(٥).

فهو عدول عن أمر معلوم إلى أمر مشكوك فيه، يقول أبو هلال العسكري في تعريفه: " هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيدًا"(٦).

---

(١) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم- د/ محمد الأمين الخضري ص٦ المقدمة- مكتبة وهبة-القاهرة- الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

(٢) ينظر: المثل السائر ١٩٠/٢، الطراز ٣٢/٢.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز ص٢٦٣.

(٤) الإيضاح ٣١٥.

(٥) البلاغة العربية ٥١٧/١.

(٦) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري- ص٣٩٦. المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم-الناشر: المكتبة العنصرية- بيروت-عام النشر: ١٤١٩هـ.

تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه:

وتأكيد المدح بما يشبه الذم هو أن " يبالغ في المدح إلى أن يأتي بعبارة يتوهم السامع في بادئ الأمر أنه ذم"(١)، وهو من العدول لأن صاحبه يقصد منه" المدح بطريقة غير متوقعة ومباشرة، أو بعبارة أدق مخالفة للمهود والمتعارف عليه"(٢)، يقول عصام الدين الحنفي: "فعدلت عن إخراج شيء مما قبل أداة الاستثناء كما هو الأصل"(٣).

حسن التعليل:

"وهو أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي"(٤).

وهو من العدول عن العلة الحقيقية إلى علة أخرى، فالعلة الحقيقية خلاف ما العلة الدعاة.

التورية:

وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما(٥)، فهي عدول عن المعنى القريب للفظ إلى المعنى البعيد الخفي.

الهزل الذي يراد به الجد:

وهو أن يذكر الشيء على سبيل اللعب والمباسطة، ويقصد به أمر صحيح في الحقيقة(٦)، وهو من العدول لأن" بنيته تعتمد على ثنائية الدلالة، فهي تعتمد على المخالفة في الظاهر، في حين تدل على الموافقة في العمق"(٧).

---

(١) عروس الأفراح ٢٦٩/٢.

(٢) المفارقة في التراث النقدي- إعداد فادية محمد عبد السلام ص٩-مجلة البحث العلمي في الآداب-العدد الثامن عشر ٢٠١٧م-الجزء الثاني.

(٣) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم لعصام الدين الحنفي ٤٣٨/٢.

(٤) الإيضاح ٣٤٢.

(٥) الإيضاح ٣٣١.

(٦) حاشية الدسوقي ١٤١/٤.

(٧) المفارقة في التراث ص١٠.

المبحث الثاني

من أساليب وصور العدول البلاغي في أبواب سنن الترمذي محل الدراسة

يعد البيان النبوي على قمة البيان البشري؛ ذلك لأنه خرج من مشكاة النبوة، فصلوات ربي وسلامه على خير من نطق، وخير من أفصح وأبان ﷺ.

وجميع كلامه ﷺ خرج بليغًا مطابقًا لمقتضى الحال، سواء ما خرج منه على مقتضى الظاهر، أو ما خرج على خلافه- وهو ما يسمى بظاهرة العدول.

وتنوعت وتعددت أساليب وصور العدول البلاغي في بيانه ﷺ لأغراض وأسرار بلاغية اقتضاها الحال، وسيقف هذا المبحث- بإذن الله- على ما ظهر منها في بعض أبواب سنن الترمذي، وهي أبواب **(صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، صِفَةِ الجنة، صفة جهنم)**.

ويبلغ عدد الأحاديث التي ورد فيها أساليب العدول سبعون حديثًا تقريبًا.

العدول عن الخبر الابتدائي إلى الخبر الطلبي والإنكاري:

هذه صورة من صور العدول التي وردت بكثرة في أحاديث النبي ﷺ، فالأصل في الخبر أن يُلقى خاليًا من المؤكدات إذا كان المخاطب خالي الذهن ولا علم له بالخبر الملقى إليه ولا عنده شك فيه، وقد يُعدل عن هذا الأصل فيأتي الخبر مؤكدًا، ولا يكون هذا العدول إلا لغرض بلاغي يتعلق بالمخاطب أو المتكلم أو الخبر ذاته.

وقد وردت نماذج تمثل هذا العدول، فنُزل خالي الذهن منزلة السائل، وقد ذكر التفتازاني أن هذه الصورة تكثر بعد الأوامر والنواهي[1]، ويكون مجيء "إن" وغرض التأكيد بها " لتصحيح الكلام السابق والاحتجاج له وبيان وجه الفائدة فيه"[2]، فكأن المخاطب بدأت نفسه في التساؤل بعد الأوامر والنواهي، فيجيء

---

(١) ينظر: المطول ص٥٠.

(٢) المطول ص٥٠، وينظر: دلائل الإعجاز ص٣٢٣، وما بعدها.

الكلام مؤكدًا؛ لبيان الفائدة والعلة من هذه الأوامر، وإزالة أي شك لدى المخاطب.

ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: "انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ"(١).

حيث أمرنا النبي ﷺ بالنظر إلى من هو أقل منا في النعم، ونهانا عن النظر إلى من هو أكثر منا، فكأن هذا الأمر وهذا النهي أثار سؤالًا في نفس المخاطب–الذي هو خالي الذهن من الحكم والخبر–، فجاء الخبر مؤكدًا لبيان الفائدة والعلة من هذا الأمر وهذا النهي.

فالعدول مما اقتضاه ظاهر حال المخاطب إلى ما اقتضاه باطنه فيه ربط ووصل بين المتكلم وبين حال مخاطبه ومراعاة لحال نفسه، كما في تأكيد هذا الخبر حث على تعظيم نعمة الله، والرضا بما قسمه الله لنا، فهذا التأكيد تناسب مع السياق والمقام.

ومثله قوله ﷺ: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ"(٢).

كما وردت نماذج عدة تمثل هذا العدول أيضًا، ولكن لم يكن النظر فيها إلى حال المخاطب– لأن حاله هو خلو الذهن من الخبر وعدم الشك فيه فلا يستلزم التأكيد–، بل إلى **حال المتكلم، وحال الخبر**، فهو من الأخبار العظيمة التي تحتاج إلى تأكيد.

فيكون الغرض البلاغي من هذا العدول هو تقرير الخبر وتحقيقه وتأكيده في نفس السامع(٣)، يقول الشيخ أبو موسى: "وهناك ضروب من

(١) سنن الترمذي باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ – رقم الحديث ٢٥١٣.
(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ– رقم الحديث ٢٥١٨.
(٣) ذكر الزركشي أن من أغراض التأكيد: قصد تحقيق المخبر به. ينظر: البرهان ٣٨٩/٢.

التوكيد لا ينظر فيها إلى حال المخاطب، وإنما ينظر فيها المتكلم إلى حال نفسه، ومدى انفعاله بهذه الحقائق، وحرصه على إذاعتها، وتقريرها في النفوس كما أحسها مقررة أكيدة في نفسه"(١).

ويحسن هذا التأكيد في مقامات الحديث عن الأمور الغيبية(يوم القيامة-الجنة-النار)؛ لأنها من الأمور التي تستلزم تأكيدها وإظهار العناية بها، فالإيمان بها ركن من أركان الإيمان.

ومن وجه آخر يحسن تأكيدها؛ لأنها من الأمور الغريبة لدى المخاطب، يقول الإمام عبد القاهر عن مواقع "إن": "ولذلك تَراها تزدادُ حُسْنًا إذا كان الخبرُ بأمرٍ يَبْعُدُ مثْلُه في الظنِّ، وبشيءٍ قد جرتْ عادةُ الناسِ بخلافِهِ"(٢).

ومن النماذج الواردة في ذلك، ما يلي:

قوله ﷺ: "إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ رِجَالًا وَرُكْبَانًا، وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ"(٣).

وقوله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ وَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى"(٤).

وقوله ﷺ: "إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَغُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا"(٥).

وقوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟..."(٦).

---

(١) خصائص التراكيب- د/ محمد محمد أبو موسى- ص٩١- الناشر: مكتبة وهبة- الطبعة: السابعة.

(٢) دلائل الإعجاز ص٣٢٥.

(٣) سنن الترمذي- بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الحَشْرِ- رقم الحديث ٢٤٢٤.

(٤) باب مَا جَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ- رقم الحديث ٢٤٣٤.

(٥) باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ غُرَفِ الجَنَّةِ- ٢٥٢٧.

(٦) باب تابع لبَابُ مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ٢٥٥٥.

وقوله ﷺ: إِنَّ الصَّخْرَةَ العَظِيمَةَ لَتُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَتَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا وَمَا تُفْضِي إِلَى قَرَارِهَا"(١)، إلى غير ذلك من نماذج(٢).

وهكذا نرى هذه الأمثلة شكلت عدولًا؛ إذ النبي ﷺ يخاطب صحابته، بأخبار غيبية مجهولة لديهم ولا علم لهم بها، ولا مجال لديهم للشك في كلام نبيهم ﷺ، ولكن جاء العدول بتأكيد الخبر لغرض تقريره وتأكيده وتحقيقه في نفس المخاطب، فهو من الأخبار العظيمة والغريبة التي تحتاج إلى تقرير وتأكيد.

العدول بأسلوب المجاز العقلي:

ومن الأمثلة الواردة فيه، قوله ﷺ: "... فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ"(٣).

حيث أسند ﷺ الإهلاك إلى الدنيا "فَتُهْلِكَكُمْ "، وفاعله الحقيقي هو الله–عز وجل، فهذا مجاز عقلي علاقته السببية، فالدنيا تكون سببًا في إهلاك المرء عند الحرص عليها والتنافس فيها وترك العمل للآخرة.

وجاء هذا العدول في الإسناد؛ للتأكيد على خطورة الدنيا، وكأن لها قدرة حقيقية على إهلاك الناس، وفي هذا تنفير من التنافس عليها.

ومثل قوله ﷺ عن من كانت الآخرة همه: "وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ"(٤)، وفي إسناد الدنيا إلى اسم الفاعل "راغمة" مجاز عقلي علاقته المفعولية، فالدنيا مُرغَمَة، وليست راغمة، قال السندي: "(وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ) أَيْ: مَقْهُورَةٌ"(٥).

---

(١) باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ قَعْرِ جَهَنَّمَ– ٢٥٧٥.

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر الأحاديث رقم: ٢٥٢٨، ٢٥٥٦، ٢٥٧١.

(٣)باب تابع لباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ – ٢٤٦٢.

(٤) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ –رقم ٢٤٦٥

(٥) حاشية السندي على سنن ابن ماجه–المؤلف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي–٥٢٥/٢–الناشر: دار الجيل – بيروت، بدون طبعة.

والصورة كلها استعارة تمثيلية، حيث شبه هيئة الدنيا حين يذللها الله تعالى لمن كانت الآخرة همه، بهيئة الإنسام المذلل المقاد، وفي هذا تأكيد على طيب العيش وموفور الإنعام، للتأكيد على إنعام الله على من كانت الآخرة همه، مما يتناسب مع سياق الحث على العمل للآخرة.

العدول بأسلوب الحذف:

والعدول بالحذف متنوع ومتعدد في أحاديث النبي ﷺ، حيث وردت عدة نماذج للحذف على صوره المختلفة، فقد يكون الحذف لجزء من جملة أو جملة أو أكثر من جملة، وقد تحدث البلاغيون عن الحذف عند حديثهم عن حذف المسند إليه، وحذف المسند، وحذف متعلقات الفعل، وعند حديثهم عن الإيجاز بالحذف.

ومن النماذج الواردة للعدول بالحذف ما يلي:

أولًا- حذف حرف النداء، و حذف "ياء" المتكلم المضافة للمنادى.

والأصل هو الذكر، ولكن قد يعدل إلى الحذف، فحذف حرف النداء مطرد عند العرب وكثير في كلامهم(١)، وذلك لأغراض، منها: تقريب المنادى وملاطفته، يقول الشيخ أبو موسى: " وكثيرًا ما تجد نداء الصحابة واردًا على هذه الطريقة التي تشير إلى قربها من النفس، ومثولها في القلب، فتخاطب خطاب الأنيس المفاطن من غير حاجة إلى تنبيه ونداء"(٢).

ومن أمثلة ذلك ما رواه أبو هريرة بقوله- رضي الله عنه-:"... ثُمَّ مَرَّ أَبُو القَاسِمِ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَقَالَ: «أَبَا هُرَيْرَةَ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ..."(٣).

---

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين- لأبي البركات الأنباري-٢/٧٢٠- الناشر: دار الفكر – دمشق.

(٢) خصائص التراكيب ص١٥٩.

(٣) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ- رقم ٢٤٧٧.

والتقدير: يا أبا هريرة، وثم إضافة أخرى للحذف بجانب ما أفاده من الملاطفة، وهذه الإضافة هي تناسب الحذف مع السياق، فهو في بيان حب النبي ﷺ لأهل الصفة الفقراء، فعندما دخل النبي ﷺ بيته ووجد قدحًا من لبن أُهدي إليه، نادى أبا هريرة ليطلب منه نداء أهل الصفة لمقاسمة هذا اللبن، ففي الحذف إيجاز يتناسب مع السرعة في النداء للوصول إلى الأمر المنادى لأجله، وفي هذه السرعة دلالة على حب النبي ﷺ لأصحابه.

ومن أمثلة حذف ياء المتكلم المضافة للمنادي قوله ﷺ: " فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي"(١)، وقوله ﷺ: "فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي"(٢)، وقول العبد يوم القيامة على لسان النبي ﷺ: " فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ أَخَذَ النَّاسُ المَنَازِلَ"(٣)، والتقدير يا ربي.

وهذا الحذف للإيجاز(٤)، والتخفيف(٥)، كذلك تناسب هذا الحذف مع مقام شدة التلهف والصدق في طلب الرغبة، تلهف النبي ﷺ لرحمة أصحابه وأمته، وتلهف العبد يوم القيامة لأخذ منزلة في الجنة.

ثانيًا- حذف المسند إليه:

والمسند إليه هو المبتدأ-أو ما كان أصله كذلك- في الجملة الاسمية، وهو الفاعل في الجملة الفعلية، والأصل فيهما الذكر، ولكن قد يعدل عن الذكر للحذف(٦)؛ وذلك لأغراض بلاغية يحددها السياق والمقام.

---

(١) باب مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الحَشْرِ رقم ٢٤٢٣ .

(٢) باب مَا جَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ رقم ٢٤٣٤.

(٣) باب ملحق بباب مَا جَاءَ أَنَّ لِلنَّارِ نَفَسَيْنِ، وَمَا ذُكِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ رقم ٢٥٩٥.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم ١/ ٢٨٧، الإيضاح ص١٨١.

(٥) ذكر سيبويه جواز حذف بعض الحروف من الكلمات استخفافا. ينظر: الكتاب لسيبويه ٢/ ٢٥٦.

(٦) قال أبو حيان: "ويجوز حذف المبتدأ لقرينة" ارتشاف الضرب ١٠٨٦/٣، وأما حذف الفاعل ففيها رأيان، أحدهما عدم جواز الحذف، والثاني جوازه. ينظر: ارتشاف الضرب ٣/ ١٣٢٣، ١٣٢٤. تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد-مراجعة: رمضان عبد التواب-الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة-الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨.

ووردت أمثلة كثيرة جدًا لحذف الفاعل، وبناء الفعل للمعلوم؛ وذلك لأغراض متنوعة، فقد يكون الغرض هو تعيين الفاعل، فالخبر لا يصلح إلا له(١)، فلقوة ظهوره حُذف، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

قوله ﷺ: " يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا كَمَا خُلِقُوا"(٢).

وقوله ﷺ: " إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ"(٣).

وقوله ﷺ: " مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ"(٤)، وقوله ﷺ: " لَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ"(٥) وغير ذلك كثير(٦)، ففاعل الحشر والخلق وكف الهم ومغفرة الذنوب ونقاش الحساب كلها أمور لا تكون إلا لله–عز وجل–، فهو سبحانه متفرد بها.

ويتناسب حذف الفاعل المعلوم في هذه السياقات(سياقات وصف يوم القيامة، والجنة والنار)؛ لأن الغرض لا ينصب على إثبات هذه الأفعال لصاحبها، ففي هذا الوقت لا مجال للإنكار في وحدانية الخالق وتفرده، بل ينصب الغرض على تصوير وإثبات الفعل وما بعده من أمور.

وقد يكون الفاعل المتعين هو الملائكة، وذلك في مثل قوله ﷺ: "...فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ"(٧)، وقوله ﷺ: "...وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ"(٨)،

---

(١) ينظر: الإيضاح ص٣٧، المطول ص٦٨.

(٢) سنن الترمذي باب مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الحَشْرِ– ٢٤٢٣.

(٣) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ رقم ٢٤٥٧.

(٤) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي العَرْضِ رقم ٢٤٢٦.

(٥) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ رقم ٢٤٦٥.

(٦) ينظر: حديث رقم ٢٤٩٢، ٢٤٣١، ٢٤٢١، ٢٥٥٩.

(٧) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ٢٤٩٢.

(٨) باب مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الحَشْرِ رقم ٢٤٢٤.

وقوله ﷺ: "يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ..."(١)، فهذه الأفعال مختصة بالملائكة يوم القيامة.

وقد يحذف الفاعل لغرض تحقيره، مثل قول النبي ﷺ: " لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ"(٢)، فحُذف فاعل التخويف والإيذاء– وهو المشركون– تحقيرًا لهم.

كما يجوز حذف الفاعل عند بناء الفعل للمعلوم(٣) وذلك مثل قوله ﷺ: " يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا... فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمَكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ لَهُ: اليَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي"(٤).

وفيه حذف المسند إليه "الفاعل" أي: فيقول العبد لا، فيقول الله له: اليوم أنساك، وحُذف الفاعل لدلالة الكلام عليه ولتقدم ذكره، ففي الحذف إيجاز لوجود القرينة.

وأما عن حذف المبتدأ فمنه ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ ﷺ: "قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ"(٥).

أي: "هو قرن"، ومن غرض هذا الحذف الإيجاز والاحتراز عن العبث لورود هذا المبتدأ في السؤال، حيث " يكثر هذا الحذف في جواب الاستفهام"(٦)، فيكون في حذفه اتباع للاستعمال الوارد، كما في الحذف سرعة في الوصول

(١) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي العَرْضِ– رقم ٢٤٢٨.

(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ رقم ٢٤٧٢

(٣) ينظر: المثل السائر ٢/٢٣٢، والبرهان في علوم القرآن ٣/١٤٤، وخصائص التراكيب ص١٧٨.

(٤)باب تابع لباب مَا جَاءَ فِي العَرْضِ– ٢٤٢٨.

(٥) باب مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الصُّورِ– ٢٤٣٠.

(٦) أساليب بلاغية ص١٦١.

إلى الخبر مناط الفائدة.

ومثله قوله ﷺ:" إِنِّي لَأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ أَخَذَ النَّاسُ المَنَازِلَ"(١)، أي: هو رجل، وفي الحذف تعجيل بالمسرة والتفاؤل.

ومثله قوله ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُتَكَبِّرٍ"(٢)، فلفظ "كل" خبر لمبتدأ محذوف، تقديره "هم" العائد على أهل الجنة في الجملة الأولى، وأهل النار في الثانية، وهذا الحذف للتعجيل بالمسرة في الجملة الأولى، وتعجيل الإساءة والتحذير في الثانية.

ثالثًا–حذف المسند:

والمسند هو الخبر في الجملة الاسمية، والفعل في الجملة الفعلية، وذكرهما هو الأصل، ويجوز العدول بحذف الخبر أو الفعل(٣)، وذلك لأغراض بلاغية(٤).

ومن شواهد حذف الفعل قوله ﷺ: "...وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً"(٥)، وفيه حذف للمسند، والحذف على صورتين، إما حذف للفعل، وإما حذف للخبر، فقد جوز أبو البقاء الرفع والنصب، فقال: " يجوز النصب على معنى:

---

(١) باب ملحق بباب مَا جَاءَ أَنَّ لِلنَّارِ نَفَسَيْنِ، وَمَا ذُكِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ– رقم ٢٥٩٥.

(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ– رقم ٢٦٠٥ .

(٣) قال أبو حيان: "وقد يحذف الفعل إن علم" ارتشاف الضرب لأبي حيان٣/١٢٣٠، وينظر: دلائل الإعجاز ص١٤٧، وقال أبو حيان: " ويجوز حذف الخبر لقرينة" ارتشاف الضرب ١٠٨٨/٣.

(٤) ينظر المطول ص١٣٩: ١٤٢.

(٥) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ– رقم ٢٥١٤.

تذكر ساعة وتلهو ساعة، والرفع على تقدير: لنا ساعة ولله ساعة"[١]، وعلى كلا التقديرين فالمحذوف هو المسند.

وعدل عن ذكره لتكثير الفائدة؛ لإمكان حمل الكلام على المعنيين.

كما في العدول عن ذكره عدول إلى أقوى الدليلين، وهو العقل، فالسياق فيه إشارة من النبي ﷺ إلى إباحة اللهو المباح لأصحابه–من معاشرة الأزواج واللهو مع الأولاد– وإعطاء النفس حقها، وعدم الدوام على حالة الطاعة وذكر النار والقيامة وحسب.

ومن أمثلته أيضًا قوله ﷺ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ، عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ"[٢]، أي: تحرم على كل قريب هين سهل، وفي الحذف إيجاز واحتراز عن العبث بناء على ظاهر الكلام –فهو مفسر بما قبله–، ولوجود القرينة، فحذف الفعل لدلالة الكلام عليه.

رابعًا– حذف المفعول:

ويُعدل عن ذكر المفعول إلى حذفه لأغراض متعددة[٣]، ومن تلك الأغراض قصد التعميم في المفعول، **وذلك مثل قوله** ﷺ: "مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ"[٤]، فحذف مفعول الفعل "خاف" للتعميم والشمول، حتى يعم الخوف كل ما حرمه الله، مما يتناسب مع سياق الحث على الخوف من الله.

---

(١) إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث– لأبي البقاء العكبري–ص١٣٤– وثقه وعلق عليه: وحيد عبد السّلام بالى، محمّد زكي عبد الديم–الناشر: دار ابن رجب– الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ–٢٤٨٨.

(٣) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك– لابن هشام ١٦٤/٢المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي–الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، وينظر: الإيضاح ص ١٠٥، وما بعدها.

(٤) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ رقم٢٤٥٠ .

ومثله قوله ﷺ: "... إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ..."(١)، حيث حذف مفعول الفعل "سألت"، والفعل "استعنت" والحذف للعموم والشمول، ليعم سؤالك واستعانتك أي شيء يدور في خلدك.

ومثل قوله ﷺ في الحديث عن غرف الجنة: " هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ"(٢)، حيث حذف المفعول الأول للفعل "أطعم" وذلك للعموم، ليشمل الإطعام كل ذي كبد رطبة، سواء إنسان أو حيوان، فيكون في هذا زيادة حث على الإطعام.

ومن أغراض حذف المفعول الإيجاز والاختصار لبيانه ولدلالة الكلام السابق عليه، كما في مفعول فعل المشيئة عند وجود القرينة الدالة عليه، مثل قوله ﷺ: "... فَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أَنْتَقِمُ بِكِ مِمَّنْ شِئْتُ، وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ شِئْتُ"(٣)، أي: ممن شئت الانتقام منه، ومن شئت رحمته، وتناسب هذا العدول بالحذف مع السياق، فهو في فض النزاع والحجاج الدائر بين الجنة والنار، ببيان مهمة كل منهما، فالجنة للرحمة، والنار للانتقام، دون النظر إلى من تقع عليه هذه الرحمة وهذا الانتقام.

فقد يكون الغرض من الحذف أن المفعول غير مقصود، فالغرض ينصب على الفعل لا المفعول، فيكون القصد هو "إثبات المعاني التي اشتُقَّتْ منها للفاعلين، من غير أنْ يتعرَّضوا لذكْر المفعولين"(٤).

ومن ذلك قول الله عز وجل–على لسان نبيه ﷺ– للعبد: "وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ"(٥)، أي: ترأس القوم(٦)، فحذف المفعول؛ لأن المراد هو إثبات فعل

---

(١) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ– رقم ٢٥١٦.
(٢) باب ما جَاءَ فِي صِفَةِ غُرَفِ الجَنَّةِ– رقم ٢٥٢٧.
(٣) باب مَا جَاءَ فِي احْتِجَاجِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ رقم ٢٥٦١.
(٤) دلائل الإعجاز ص١٥٤.
(٥) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي العَرْضِ– رقم ٢٤٢٨.
(٦) أي: تكون رئيسًا لهم. ينظر: لسان العرب مادة "رأ س". وتربع: أَي تأْخذ رُبع الْغَنِيمَةِ لسان العرب مادة "ر ب ع".

الرئاسة للعبد دون النظر إلى المفعول، فغرض إنعام الله على العبد تم بمجرد إثبات الفعل له.

خامسًا- حذف جملة:

وقد تحذف جملة من السياق للبيان بعد الإبهام، لدلالة الكلام عليها، مع ضيق المقام من ذكرها، وذلك مثل قوله ﷺ: "... فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ"(١)، والتقدير وأمر الملائكة بالسجود لك، فيكون في هذا العدول والحذف إيجاز **يتناسب مع ضيق المقام**، فهو في بيان شدة أهوال يوم القيامة، وسرعة طلب الناس الشفاعة من الأنبياء والرسل.

وقد يكون حذف الجملة للاختصار والتخفيف عند بيانها، مثل قوله ﷺ: "... لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ..."(٢)، أي: لأبره الله في قسمه، فحذفت الجملة المكملة لجملة جواب الشرط؛ لدلالة جملة الشرط على المحذوف، فيكون في هذا الحذف إيجاز وتخفيف يتناسب مع طبيعة العرب عند حذف ما دل الكلام عليه دلالة واضحة(٣).

العدول بأسلوب التقديم والتأخير:

ورد العدول بأسلوب التقديم بعدة صور، منها: تقديم المسند إليه، وتقديم المسند، وتقديم المعمول على العامل، وتقديم بعض المعمولات(متعلقات الفعل) على بعض، وجاء هذا العدول لأغراض بلاغية يحددها السياق.

فمن أمثلة العدول **بتقديم المسند إليه** قوله ﷺ -حين سأله أنس بن مالك أن يشفع له-: "أَنَا فَاعِلٌ"(٤)، ففيه تقديم المسند إليه على الاسم المشتق- اسم الفاعل-.

---

(١) باب مَا جَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ رقم ٢٤٣٤.

(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ- رقم ٢٦٠٥.

(٣) بنظر: الكتاب لسيبويه ٤٩٨/٣، ٢/ ٣٤٥، الخصائص ٣٦٢/٢.

(٤) باب مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الصِّرَاطِ رقم ٢٤٣٣.

ومثل قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ لأهل الجنة: " أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ"(١)، ففيه تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المثبت.

والغرض من التقديم في هذين المثالين هو الحصر والتخصيص، أي: اختصاص النبي ﷺ بفعل الشفاعة، واختصاص المولى-عز وجل- بعطيته للمؤمنين يوم القيامة، وفي هذا الحصر تأكيد على رحمة الله بعباده، وشفقة النبي ﷺ على صحابته وأمته.

ومن أمثلة **العدول بتقديم المعمول**(مفعول وجار وجرور وظرف وحال) على العامل قوله ﷺ في وصف من يدخلون الجنة بلا حساب: "... وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"(٢).

وأفاد هذا العدول التخصيص والحصر؛ وذلك للتأكيد على اتصاف هؤلاء المؤمنين بحسن التوكل، فهم لا يتوكلون إلا على الله.

ومثل قوله تعالى-على لسان نبيه ﷺ- للعبد يوم القيامة: "...اليَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي"(٣).

وأفاد هذا التقديم العناية والاهتمام بالمقدم، وهو ظرف الزمان العائد على يوم القيامة، فهو محط العناية والوصف، كما في هذا التقديم تأكيد على نسيان الله يوم القيامة(٤) للعبد العاصي، وفي هذا تحذير من نسيان العبد لله في الدنيا.

ومثل قوله ﷺ في الخبر المنفي: " فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي

(١) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى- رقم ٢٥٥٥.

(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ- رقم ٢٤٤٦.

(٣) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي العَرْضِ-رقم ٢٤٢٨.

(٤) أي أتركك في العذاب. ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري-١١٥/٧- المحقق: عبد الوهاب ابن عبد اللطيف-الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة-الطبعة: الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ..."[١]، وأفاد هذا التقديم الحصر، فهو قصر إفراد يفيد تخصيص خوف النبي ﷺ على الصحابة من الدنيا دون الفقر، وفي هذا التخصيص تأكيد على عدم خطورة الفقر مقارنة بخطورة الدنيا، فبسط الدنيا والتنافس عليها أخطر وأشد.

ومن أمثلة **العدول بتقديم بعض المعمولات** على بعض قوله ﷺ: " مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ،..."[٢]، وفي هذا التقديم تخصيص، أي يجمع الله له وحده شمله، ومما يؤكد هذا التخصيص أن باقي الحديث في تصوير الشخص المقابل، وهو من كانت الدنيا همه، وأفاد هذا التخصيص تأكيد عناية الله تعالى بعبده المؤمن، وفي هذا العدول أيضًا مراعاة لسجع الكلام ووزنه، وهو من الأمور الصوتية المحببة إلى النفس، التي تألفها الأذن وتستهويها.

ومثل قوله ﷺ: " مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ..." [٣]، فقدم الجار والمجرور؛ لأنه محط العناية، فهو المذنب الذي ستقع عليه العقوبة، كما أفاد هذا التقديم ردع هذا المذنب وتحذيره.

ومثل قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ لأهل الجنة: " أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا"[٤]، وفي التقديم تخصيص أهل الجنة برضوان الله وعدم سخطه، فهذا العدول أفاد تأكيد عناية الله تعالى بأهل الجنة.

ومثل قول جبريل عليه السلام -على لسان النبي ﷺ- عن الجنة والنار: " فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا... وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا"[٥]،

---

(١) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ رقم ٢٤٦٢.

(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ -رقم ٢٤٦٥

(٣) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ- رقم ٢٥١١.

(٤)باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى- رقم ٢٥٥٥.

(٥) باب مَا جَاءَ حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ- رقم ٢٥٦٠.

والتقديم للعناية بشأن المقدم، وهو الجار والمجرور العائد في الجملة الأولى على الجنة، وفي الثانية على النار، وهذا التقديم لأنهما محط العناية ونصب الأعين، فالسياق كله في وصفهما، "فمن الأسس التي بني عليها ترتيب المتعلقات أنهم يقدمون منها ما هو أوثق صلة بغرض الكلام وسياقه"(١).

ومثل قوله ﷺ عن أهل الجنة: "... يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ"(٢)، والتقديم للعناية أيضا، فالمقدم هو أهل الجنة، وهم أوثق صلة بالسياق.

إلى غير ذلك من أمثلة للعدول بالتقديم(٣).

العدول بأسلوب وضع المظهر موضع المضمر، وعكسه:

والأصل أن الاسم يذكر ظاهرًا عند الحديث عنه، وعند ذكره مرة أخرى يذكر مضمرًا؛ للاستغناء عنه بالظاهر السابق(٤)، ولكن قد يعدل عن هذا الأصل فيقام المظهر موضع المضمر والعكس؛ وذلك لأغراض بلاغية يقتضيها السياق والمقام.

وذلك مثل قوله ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ..."(٥).

فالأصل أن يعبر عن المفلس بالضمير "هو"؛ وذلك لذكره في السؤال مقدمًا.

ومن بلاغة هذا العدول التقرير والتأكيد على أن الوصف الذي جاء بعد هذا الاسم الظاهر "المفلس" مختص به، فذكر ظاهرًا لقصد التوصل إلى وصفه ولصقه به.

---

(١) خصائص التراكيب ص٣٦٧.

(٢) باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ غُرَفِ الجَنَّةِ- رقم ٢٥٢٨.

(٣) ينظر: ٢٤٣١، ٢٥٠٢ ، ٢٥١٠ ، ٢٤٧٢ ، ٢٤٥٥ .

(٤) ينظر: الكتاب لسيبويه ١/ ٦٢، البرهان٣/٤٨٤.

(٥) باب مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الْحِسَابِ وَالْقَصَاصِ- رقم٢٤١٨.

ومثله ما رواه أبو ذر أنه "قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آنِيَةُ الحَوْضِ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ..."[(١)]، فقد تقدم ذكر الآنية في السؤال، فالأصل ذكرها مضمرة في الجواب، إلا أن النبي ﷺ عدل عن الضمير إلى الاسم الظاهر؛ وذلك لإزالة اللبس لأن الضمير قد يوهم غير المراد، فلو قال "لهي" لالتبس بأن يكون الضمير عائدًا على نفسه ﷺ الوارد ذكرها في القسم.

كما يفيد ذكر الآنية مظهرًا تعظيم شأنها والذي يؤكد عظمتها هذا القسم الشريف، و" كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذا اجْتهد فِي الْيَمين قَالَ: لَا وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّد بِيَدِهِ"[(٢)].

ومثل قوله ﷺ: "يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ العَالَمِينَ، فَيَقُولُ: أَلَا يَتْبَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ..."[(٣)]، القياس "ثم يطلع عليهم، فيقول"، بأن يكون الفاعل ضميرًا مستترًا في الفعل "يطلع"؛ وذلك لتقدم ذكره في الجملة الأولى، ولكن عدل النبي ﷺ فجاء بالفاعل اسمًا ظاهرًا "رب العالمين"؛ وذلك تعظيمًا له تعالى.

ومن بلاغة هذا العدول أيضًا الجمع بين الاسمين "الله، رب العالمين"، يقول الزركشي عن وضع المظهر موضع المضمر: "ويسهل عند اختلاف اللفظين... فإنه قد تكرر اسم الله ظاهرًا في هذه الجمل الثلاث ولم يضمر لدلالته على استقلال كل جملة منها وأنها لم تحصل مرتبطة ببعضها ارتباط ما

---

(١) باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ- رقم ٢٤٤٥.

(٢) مسند الإمام أحمد – مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – رقم الحديث ١١٤٤٤- المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون- إشراف: د/ عبد الله ابن عبد المحسن التركي- الناشر: مؤسسة الرسالة-الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

(٣) باب مَا جَاءَ فِي خُلُودِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ- رقم ٢٥٥٧.

يحتاج فيه إلى إضمار"[١].

وهذا التغاير والاستقلال يتناسب مع السياق، فمجيء الفاعل في الجملة الثانية بلفظ "رب العالمين" فيه تناسب مع سياقها الجزئي، وهو دعوة الله تعالى الخلق بأن يتبع كل إنسان ما كان يعبد، يدعوهم ليتبعوا ما كانوا يعبدون، وهو ربهم خالقهم الذي كان أولى بالعبادة، ففي هذا التغاير تعريض بالمشركين الذين عبدوا آلهة غير خالقهم.

كما يتناسب التعبير بـ "رب العالمين" مع إنعامه تعالى على المسلمين في هذا السياق، فمن معاني لفظ "الرب": المنعم[٢]، والسياق فيه إنعام على المسلمين، حيث يفصل تعالى بينهم وبين باقي خلقه المشركين، حيث يتبع بعض الخلق النار، وبعضهم الصليب، وبعضهم التصاوير، ويبقى المسلمون ينتظرون ربهم.

إلى غير ذلك من أمثلة للعدول بوضع المظهر موضع المضمر[٣].

ومن وضع المضمر موضع المظهر ما روته السيدة عائشة، حيث قَالَتْ: "إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ نَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ إِنْ هُوَ إِلَّا المَاءُ وَالتَّمْرُ"، أي: إن الطعام إلا الماء والتمر، فالضمير عائد على غير مذكور؛ وذلك لظهوره، يقول سيبويه: " وإنَّما أضمرُوا ما كان يقَع مُظهَرًا استخفافًا، ولأن المخاطَب يعلم ما يعنى"[٤].

---

(١) البرهان ٤٨٣/٢.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة "ر ب ب".

(٣) ينظر: باب مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الْحِسَابِ وَالْقَصَاصِ ٢٤٢١، باب مَا جَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ- رقم ٢٤٣٤.

(٤)الكتاب لسيبويه ٢٢٤/١.

العدول بأسلوب الالتفات:

ومن صور الالتفات–على رأي من وسع دائرة الالتفات [١]–، الالتفات والعدول **عن الفعلية إلى الاسمية**، مثل قوله ﷺ: فَيَقُومُ المُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ، فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ جِيَادِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ سَلِّمْ سَلِّمْ"[٢]، حيث عدل عن قوله ﷺ "ويقولون عليه" إلى "وقولهم" فعطف الاسم على الفعل، وذلك لما في الاسمية دلالة على الثبوت والدوام، وهذا يدل على شدة خوف المسلمين وهم على الصراط، فالموقف شديد يستلزم الثبوت على التضرع إلى الله، والدعاء بأن يسلمهم من هذا الموقف.

وقيل إن فاعل القول هو الرسل والأنبياء، أي يقول كل نبي: اللهم سلم أمتي من ضرر الصراط[٣]، فيكون العدول للتنبيه على اختلاف الفاعل.

وذكر السكاكي أن من محسنات الوصل اتحاد الجملتين في الاسمية أو الفعلية، ولكن قد يعطف الاسم على الفعل أو العكس لنكتة، وهي مراعاة التجدد في إحداهما والثبوت في الأخرى[٤].

ومن صور الالتفات أيضًا العدول عن الاسمية إلى الفعلية مثل قوله ﷺ: " إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ رِجَالًا وَرُكْبَانًا، وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ"[٥]، فالأصل: ومجرورين على وجوهكم، باسم الفاعل عطفًا على " رِجَالًا وَرُكْبَانًا" –فالجر على الوجوه صنف ثالث لهيئة الناس عند الحشر–، ولكن عدل عنه إلى الفعل المضارع؛ لاستحضار الصورة، فالفعل المضارع " أقدر الصيغ على تصوير الأحداث؛

---

(١) يقول السبكي: " ومنهم من يجعل الالتفات نقل الكلام من حالة إلى أخرى مطلقا" عروس الأفراح ١/ ٢٧٢.

(٢) باب مَا جَاءَ فِي خُلُودِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ– رقم ٢٥٥٧ .

(٣) ينظر: تحفة الأحوذي ٢٧٥/٧.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم ٢٧١/١، ٢٧٢.

(٥)بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الحَشْرِ –رقم ٢٤٢٤.

لأنها تحضر مشهد حدوثها، وكأن العين تراها وهي تقع"[١]، وفي هذا العدول تنبيه للذهن وإيقاظ للفكر، وتحذير من الأسباب التي تقود إلى الجر على الوجوه يوم القيامة، كما يدل الفعل على تجدد الجر وتكراره مرة تلو الأخرى، وفي هذا دلالة على شدة العذاب الملحق بالكافر أو العاصي–أعاذنا الله وإياكم–.

ومن صور الالتفات أيضًا، الالتفات بين صيغ الفعل، فمثلًا **التفات من المضارع إلى الماضي** مثل قوله ﷺ: "جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ "[٢]، والأصل تجيء الراجفة، فهي من الأمور المستقبلية التي لم تأت بعد، والتعبير بالماضي؛ لتحقق وقوعها، فهي ستأتي حتمًا، وفي هذا حث على العمل لها.

ومثله قوله ﷺ: " يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ"[٣]، والأصل "وإلا تفعل أملأ يديك" عطفًا على " تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ "، ولكن عدل عن المضارع إلى الماضي، لتحقق الوقوع، وفي هذا تحذير وتخويف من عدم عبادة الله.

يقول الشيخ أبو موسى أثناء حديثه عن الالتفات والعدول بين الصيغ: "وقد أفادت هذه المخالفة أن الحديث بلغ مقطعًا من المعنى يجب على السامع أن يلتفت إليه، وهذه قاعدة عامة في كل مخالفة"[٤]، أي إن في المخالفة تنبيه وإيقاظ للفكر للتدبر في اللطائف المخبوءة وراء هذه المخالفة.

ومن صور الالتفات والعدول، العدول عن المثنى إلى المفرد، مثل قوله ﷺ: " دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ"[٥]، والأصل "هما" الحالقة، وعدل إلى المفرد للدلالة على اشتراكهما في معنى واحد، وهو

---

(١) خصائص التراكيب ٢٦٤.

(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ– رقم ٢٤٥٧.

(٣) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ– رقم ٢٤٦٦.

(٤) خصائص التراكيب ٢٦٣.

(٥) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ –رقم ٢٥١٠.

"الحالقة"(١)، وعدم الفرق بينهما، فكأنهما كيان واحد، فكل منهما من مستلزمات الآخر.

ومن صور الالتفات، **الالتفات من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع**، مثل قوله ﷺ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ..."(٢).

و"أيمن" جمع "يمين"(٣)، والأصل التعبير بالمشهور، وهو "فينظر يمينه"، ولكن جاء العدول من "فعيل" إلى "أفعل" ليدل على المبالغة في نظر هذا العبد بحثًا عن منقذ، فالموقف شديد، " وليست المبالغة إلا شحنة دلالية إضافية توفرها الصيغة المعدول إليها، إذ لولاها لبقيت مجموعة في بنية الخطاب الأصلي"(٤).

ومن صور العدول بالالتفات **عدول من الجمع إلى المفرد**، مثل قوله ﷺ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُتَكَبِّرٍ"(٥)، فأهل الجنة جمع، ثم وصفهم بالمفرد "كل ضعيف متضعف" بدلًا من "ضعفاء متضعفين"، ومثله في الحديث عن أهل النار، وفي هذا دلالة على اشتراك الجمع في هذه الصفة المتصف بها المفرد، فكأن الصفة متأصلة في كل واحد منهم.

---

(١) الَّتِي مِنْ شأْنها أَن تَحْلق أَي تُهْلِك وتَسْتَأْصِل الدِّينَ كَمَا تَسْتأْصِل المُوسَى الشَّعْرَ. لسان العرب مادة "ح ل ق".

(٢) باب فِي الْقِيَامَةِ –رقم ٢٤١٥.

(٣) ينظر: الكتاب لسيبويه باب تكسير ما عدة حروفه أربعة أحرف للجمع ٣/ ٦٠٦، ٦٠٧.

(٤) العدول عن التذكير إلى التأنيث في القرآن الكريم ودلالته اللغوية في فهم النص وتفسيره دراسة صرفية تحليلية–د/ مطر عبدالله إسحق الجزولي– مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية– المجلد ٣ العدد٤– أبريل ٢٠٢٢م.

(٥) باب ملحق بباب مَا جَاءَ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ– رقم ٢٦٠٥.

العدول بأسلوب الأسلوب الحكيم:

مثل قوله ﷺ:" أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"(١).

فكلام النبي ﷺ جاء مخالفًا لفكر الصحابة وجوابهم بشأن تعريف المفلس، فالعدول بالأسلوب الحكيم عدول بين المعاني والأفكار لدى الأذهان المختلفة، وفي هذا العدول بيان من النبي ﷺ للجواب الأولى، وتنبيه على أنه كان من حق الإجابة أن تنصرف إلى أمور الآخرة.

ومثل ما روته السيدة عائشة- رضي الله عنها-، أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا»؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا"(٢).

فكلام النبي ﷺ جاء مخالفًا لإجابة السيدة عائشة-رضي الله عنها-، وفي هذا العدول توجيه من النبي ﷺ إلى الحرص على أمر الآخرة، فالعناية بها أولى.

العدول عن قواعد تقييد الفعل بالشرط بـ "إن"، و "إذا"، و "لو":

ومن صور المخالفة والعدول، مجيء الفعل الماضي أو الاسم بعد "إن"، و "إذا"، سواء في فعل الشرط أو في الجواب أو فيهما معًا، والأصل أن يأتي فعلًا مستقبلًا، وقد تكرر هذا كثير جدًا في أحاديث النبي ﷺ محط الدراسة، كذلك

(١) بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الْحِسَابِ وَالْقَصَاصِ-رقم ٢٤١٨.

(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ -رقم ٢٤٧٠.

من صور المخالفة مجيء الفعل المضارع بعد "لو" والأصل مجيئه ماضيًا.

ومن أمثلة ذلك العدول قوله ﷺ لأبي بن كعب–حين سأل عن مقدار الصلاة على النبي ﷺ –: "مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"(١)، حيث جاء الفعل ماضيًا بعد "إن"؛ وذلك لنكتة، وهي إبراز الرغبة في وقوعه، فالسياق في الحث على ذكر الله والصلاة على النبي ﷺ.

ومثله قوله ﷺ: "إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا سَدَّدَ وَقَارَبَ فَارْجُوهُ"(٢)، فجيء بالماضي للرغبة في حصول هذا الفعل، وهو التسديد والمقاربة في الخير والشر، كذلك " يؤتى بالشرط ماضيًا، للدلالة على الزمن الماضي"(٣)، وفي هذا دلالة على أن هذا الفعل قد تم وانتهى.

ومثل قوله ﷺ: " هَذَا ابْنُ آدَمَ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ الإِنْسَانُ، وَهَذِهِ الخُطُوطُ عُرُوضُهُ إِنْ نَجَا مِنْ هَذَا يَنْهَشُهُ هَذَا"(٤)، وعبر بالماضي لتفاؤله ﷺ بتحقق الوقوع، وهو أن يتفادى ابن آدم العروض والآفات من مرض وجوع وعطش، وقد يكون مجيء الماضي متناسبًا مع التقليل المفاد

---

(١) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ –رقم ٢٤٥٧.

(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ –رقم ٢٤٥٣، ومعنى إن لكل شيء شرة" بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء أي حرصاً على الشيء ونشاطاً ورغبة في الخير أو الشر، "فإن كان صاحبها سدد وقارب" أي جعل صاحب الشرة عمله متوسطاً وتجنب طرفي إفراط الشرة وتفريط الفترة "فأرجوه" أي أرجو الفلاح منه. ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي–١٤٩/٧.

(٣)معاني النحو ٦٣/٤.

(٤)باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ –رقم ٢٤٥٤ .ومعنى "وهذه الخطوط" أي الصغار "عروضه" أي الآفات والعاهات من المرض والجوع والعطش وغيره "إن نجا منه ينهشه هذا" أي إن تجاوز عنه العرض يلدغه هذا العرض الآخر. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي١٥١/٧.

من التعبير بـ "إن"، فالمضارع يدل على التجدد والاستمرار، وهذا المعنى لا يتناسب مع تقليل فرص النجاة من العروض.

ومثل قوله ﷺ:" إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ العِبَادِ"(١)، وعبر بالماضي؛ لتحقق الوقوع، ولإبراز غير الحاصل في معرض الحاصل؛ لأن ما هو للوقوع كالواقع، وفي هذا حث على تذكر الآخرة وأهوال يوم القيامة.

ومثل قوله ﷺ: " فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ"(٢)، وعدل ﷺ إلى الماضي رغبة في وقوع السؤال؛ للحث على سؤال الله أعلى درجات الجنة.

ومن صور المخالفة في "لو" قوله ﷺ: " لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ فِي مَجَالِسِكُمْ"(٣)، فعدل عن الماضي إلى المضارع، و "لو" لانتفاء الشرط، والفعل المضارع يدل على الاستمرارية، فكأن النبي ﷺ قصد إلى انتفاء استمرار فعل المداومة على الطاعة، وهذا يتناسب مع سياق الحث على التبادل بين الطاعة، وبين إعطاء النفس حقها، كما جاء في آخر الحديث "ساعة وساعة".

إلى غير ذلك من أمثلة(٤).

العدول بأسلوب التغليب:

مثل قوله ﷺ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ"(٥)، أي: ما منكم من رجل أو امرأة، ولكن غلب جنس الرجال إيجازًا، فهذه الأحكام مشتركة بين الرجال والنساء، ويدخل فيها جنس النساء تباعًا، فكل منهما يأخذ حكم

(١) بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الْحِسَابِ وَالْقَصَاصِ –رقم ٢٤٢١.

(٢) بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ دَرَجَاتِ الجَنَّةِ –رقم ٢٥٣٠.

(٣) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ رقم ٢٥١٤ .

(٤) ينظر: بَابُ مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى– ٢٥٥١، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ دَرَجَاتِ الجَنَّةِ– ٢٥٣٠، باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ– ٢٥١٦، باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ– ٢٤٥٦.

(٥) بَابٌ فِي الْقِيَامَةِ– رقم ٢٤١٥.

الآخر، فتغليب الذكر على الإناث "يكون بأن يجرى على الذكور والإناث صفة مشتركة المعنى بينهم على طريقة إجرائه على الذكور خاصة"(١).

ومثل قوله ﷺ: " المُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الوَلَدَ فِي الجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي"(٢)، ففيه تغليب للإيجاز، أي: المؤمن أو المؤمنة بدليل قوله: " حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ " وهذا أمر مختص بالنساء، ولكن لما كان اشتهاء الولد أمرًا مشتركًا بين الرجال والنساء بالفطرة غلب الرجال على النساء إيجازًا.

ومثله قوله ﷺ: " لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ"(٣)، والمعنى قدما عبد أو أمة.

العدول عن قواعد الخبر والإنشاء:

وردت بعض معاني أساليب الإنشاء التي هي من قبيل مستتبعات التراكيب، وذلك مثل قوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟..."(٤)، فسؤال الله تعالى لأهل الجنة من باب التقرير؛ لأنه أعلم بحالهم، وفي هذا التقرير تأكيد على إنعامه تعالى عليهم، فيجعلهم تعالى يقرون بأنفسهم على الرضا بموفور النعم.

ومثله قول الله تعالى على لسان نبيه: " يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا..."(٥)، فالاستفهام للتقرير، ليكون العبد شاهدًا على نفسه بإنعام الله عليه، وفي هذا التقرير مزيد توبيخ وتبكيت على العصيان.

---

(١) الأطول ٤٦٥/١.

(٢) بَابُ مَا جَاءَ مَا لِأَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الكَرَامَةِ- رقم ٢٥٦٣ .

(٣) بابٌ فِي الْقِيَامَةِ -رقم ٢٤١٧.

(٤) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ٢٥٥٥.

(٥) بَابُ مَا جَاءَ فِي العَرْضِ- رقم ٢٤٢٨.

ومثل قوله ﷺ: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ"(١)، ففعل الأمر " أَدْخِلْهُ، أَجِرْهُ" معناه الدعاء.

ومثل قوله ﷺ: " كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ"(٢)، فالاستفهام فيه معنى التعجب، ويحتمل الإنكار، وذلك للتحذير من اللهو ونسيان أمور الآخرة.

ومن صور العدول استعمال أداة النداء "يا" لنداء القريب، والأصل كونها للبعيد، ومن أمثلة ذلك نداء النبي ﷺ لربه في أكثر من موضع، مثل قوله ﷺ: " يَا رَبِّ أَصْحَابِي"(٣)، وقوله: "يَا رَبِّ أُمَّتِي"(٤)، وفي هذا عدول؛ "لأن الله قريب إلى كل منادى"(٥)، وفيه إشارة إلى عظم الأمر المنادى من أجله، وهو طلب الرحمة لأمته ﷺ، كما أن النداء بـ "يا" التي للبعيد فيها تعظيم لله تعالى لعلو منزلته عند العبد.

وأيضًا مثل نداء الله–عز وجل– للنبي ﷺ في أكثر من موضع، مثل قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ: " يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ... يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ"(٦)، وفي هذا العدول دلالة على كَوْنُ الْخِطَابِ المنادى لأجله مُعْتَنًى بِهِ(٧).

---

(١) بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَنْهَارِ الجَنَّةِ– ٢٥٧٢

(٢) بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الصُّورِ –رقم ٢٤٣١.وقال القاضي رحمه الله: معناه كيف يطيب عيشي وقد قرب أن ينفخ في الصور–تحفة الأحوذي ١١٨/٧.

(٣) بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الحَشْرِ– ٢٤٢٣.

(٤) بَابُ مَا جَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ ٢٤٣٤

(٥) من أسرار التعبير القرآني– دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ص٤٣.

(٦) بَابُ مَا جَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ– ٢٤٣٤.

(٧) ينظر: الإتقان ٣/ ٢٨٢.

ومن أمثلة نداء القريب بـ "يا" قوله ﷺ:" يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ..."(١)، وقوله ﷺ: " يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً"(٢)، إلى غير ذلك من أمثلة(٣).

ومن صور العدول استعمال الخبر موضع الإنشاء، وذلك في مثل قوله ﷺ عن الذين يدخلون الجنة بلا حساب: " هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»"(٤)، فجاء كلام سيدنا عكاشة-رضي الله عنه- بصيغة الخبر، والمعنى الاستفهام، أي: هل أنا منهم؟، وجيء بهذا العدول؛ لإظهار الرغبة في حصول المطلوب، وهو كونه من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فتناسب صدق الرغبة والسرعة في الحصول على المراد مع حذف أداة الاستفهام، وفي هذا العدول أيضًا تفاؤل في الإجابة.

ومثله قوله تعالى للعبد العاصي يوم القيامة: "... وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ يَوْمَكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: لَا..."(٥)، فالكلام خبري ومعناه الاستفهام، أي: فهل كنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟، وفي هذا العدول تنبيه على أنّ المطلوب كان يسير سهل، قد توافرت أسبابه(٦)، ففيه تبكيت وذم.

العدول البياني بأساليب علم البيان(التشبيه والاستعارة والكناية):

ومن التشبيهات الواردة قوله ﷺ: "إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ،"(٧)، وفيه

(١) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ – رقم ٢٥١٦.

(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ– رقم ٢٥١٤.

(٣) بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الصِّرَاطِ– ٢٤٣٣، باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ– ٢٤٦٦، ٢٤٨٥.

(٤) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ– رقم ٢٤٤٦.

(٥) بَابُ مَا جَاءَ فِي العَرْضِ –٢٤٢٨.

(٦) ينظر: أغراض وضع الخبر موضع الإنشاء–البلاغة العربية ٥١٣/١.

(٧) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ – رقم ٢٤٦٣.

تحذير من الافتنان بالمال، وعدول من اللفظ الدال على هذا المعنى مباشرة إلى تشبيه محسوس محذوف الأداة.

وفيه تشبيه المال بالنبات الأخضر الحلو مذاقة مما يشتهيه الإنسان ويحرص على طلبه، وفي هذا التشبيه تأكيد على المعنى، " فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده والحلو كذلك على انفراده فاجتماعهما أشد وفيه إشارة إلى عدم بقائه لأن الخضروات لا تبقى ولا تراد للبقاء"(١).

ومثل قوله: "إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ وَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى"(٢)، وفيه تشبيه لتقريب الصورة الغيبية بصورة مشاهدة حاضرة في ذهن الصحابة–رضوان الله عليهم–، حيث عدل بهذا التشبيه عن التعبير بلفظ موضوع في اللغة للدلالة على البعد، لبيان بعد أبواب الجنة بعضها من بعض، فجاء ﷺ بهذا التشبيه لإحضار الصورة في ذهن الصحابة والتأكيد عليها؛ مناسبة مع سياق وصف الجنة والتأكيد على سعة أبوابها.

ومثل قوله ﷺ: "فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ، فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ"(٣)، وفيه تشبيه مرور المسلمين على الصراط بالخيل والإبل الجياد(٤)، وفي هذا التشبيه تقريب للصورة الغيبية بصورة حسية قريبة من الأذهان؛ لتأكيد سرعة وسهولة مرور المسلمين على الصراط.

ومثل قوله ﷺ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أُتِيَ بِالمَوْتِ كَالكَبْشِ الأَمْلَحِ"(٥)، وفيه تشبيه لتحويل المعقول إلى محسوس؛ لتوضيح المعنى الغيبي وتقريبه وبيان إمكانه، وهذا التشبيه يتناسب مع سياق التأكيد على فناء ملك الموت يوم

(١) شرح النووي على مسلم–١٢٦/٧– شرح د/ محمد فؤاد عبد الباقي–الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

(٢) باب مَا جَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ– رقم الحديث ٢٤٣٤.

(٣) باب مَا جَاءَ فِي خُلُودِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ– رقم ٢٥٥٧ .

(٤) الركاب هي: الإبلُ الَّتِي يُسار عَلَيْهَا. لسان العرب مادة " ر ك ب".

(٥) بَابُ مَا جَاءَ فِي خُلُودِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ– رقم٢٥٥٨.

القيامة، حيث الخلود بلا موت.

ومثل قوله ﷺ عن أهل الجنة حين يخرجون من النار ويطرحون على أبواب الجنة: "فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ المَاءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الغُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ"(١)، وفيه تشبيه تمثيلي لتقريب المعنى الغيبي، حيث شبه هيئة أهل الجنة حين يرش عليهم الماء بعد خروجهم من النار بهيئة نمو النبات وكل ما حمله السيل من عيدان وورق وبزور وغيرها(٢)، "وَالْمُرَادُ التَّشْبِيهُ فِي سُرْعَةِ النَّبَاتِ وَحُسْنِهِ وَطَرَاوَتِهِ "(٣).

وهذا التشبيه يتناسب مع سياق بيان ما كان عليه العاصين من شدة العذاب، حيث ينبتون من جديد، وكأن الحياة دبت إليهم بعد الممات، كما يتناسب هذا العدول مع سياق إنعام المولى –عز وجل– على أهل العاصين من أهل الإسلام.

ومثل قوله ﷺ في وصف طير الجنة: "فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الجُزُرِ"(٤)، ومثل قوله ﷺ عن المسلمين من أمته: "مَا أَنْتُمْ فِي الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ"(٥)، وكلها تشبيهات حسية لتقريب الأمور الغيبية.

---

(١) بَاب ملحق بباب مَا جَاءَ أَنَّ لِلنَّارِ نَفَسَيْنِ، وَمَا ذُكِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ–رقم ٢٥٩٧.

(٢) وحَمِيل السَّيْل: مَا يَحْمِل مِنَ الغُثاء وَالطِّينِ لسان العرب مادة "ح م ل" والغُثاءُ، بِالضَّمِّ وَالْمَدِّ: مَا يَحملهُ السَّيلُ مِنَ القَمَشِ، وَكَذَلِكَ الغُثَّاءُ، بِالتَّشْدِيدِ، وَهُوَ أَيضاً الزَّبَد والقَذَر، والغُثَاءُ الهالِكُ الْبَالِي مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ الَّذِي إِذَا خَرَجَ السيلُ رأَيته مخالِطاً زَبَدَه لسان العرب مادة " غ ث ا".

(٣) شرح النووي على مسلم ٢٣/٣، وينظر: تحفة الأحوذي ٣٢٤/٧، ٣٢٥.

(٤) بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ طَيْرِ الجَنَّةِ–رقم ٢٥٤٢.

(٥) بَابُ مَا جَاءَ فِي صَفِّ أَهْلِ الجَنَّةِ– رقم٢٥٤٧.

العدول بأسلوب الاستعارة:

مثل قوله ﷺ عن المفلس:" وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا"(١)، وفيه استعارة تبعية، وهي استعارة الأكل للأخذ، وقد تحدث "الجاحظ" عن التعبير بأكل المال وذكر أنه من المجاز(٢).

فالأكل دلالته الوضعية معروفة، ويسند إلى المال على سبيل العدول بالاستعارة، وذلك لتحويل المعنى العقلي، وهو الأخذ إلى صورة حسية تدل على المبالغة في الاستحواذ على هذا المال وانعدام بقاء أثره، فـ" الْأَكْلُ فِي الْحَقِيقَةِ ابْتِلَاعُ الطَّعَامِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الِانْتِفَاعِ بِالشَّيْءِ وَأَخْذِهِ بِحِرْصٍ، وَأَصْلُهُ تَمْثِيلٌ، ثُمَّ صَارَ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً، فَقَالُوا: أَكَلَ مَالَ النَّاسِ"(٣).

ويتناسب هذا العدول الذي دل على الحرص في الأخذ بغير حق مع سياق التنفير من الأعمال السيئة، والتي منها أخذ أموال الناس بغير حق، والتعبير بأخذ المال قد يُفهم منه أخذه بإذن صاحبه للاستثمار مثلًا، ولكن أكل مال الناس أصبح له دلالة عرفية على أخذ الأموال بغير حق.

ومثل قوله ﷺ عن ابن آدم: "وَهَذِهِ الخُطُوطُ عُرُوضُهُ إِنْ نَجَا مِنْ هَذَا يَنْهَشُهُ هَذَا"(٤)، وفيه عدول في لفظ "ينهشه"؛ وذلك لإسناده إلى العروض

---

(١) باب مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الْحِسَابِ وَالْقَصَاصِ– رقم٢٤١٨.

(٢) ينظر: الحيوان للجاحظ ٢٥/٥–تحقيق :عبد السلام محمد هارون–الناشر: دار الجيل– ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م– لبنان/ بيروت.

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٧٩/٣– الناشر: الدار التونسية للنشر– تونس– سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٤) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ –رقم ٢٤٥٤ .ومعنى "وهذه الخطوط" أي الصغار "عروضه" أي: الآفات والعاهات من المرض والجوع والعطش وغيره "إن نجا منه ينهشه هذا" أي إن تجاوز عنه العرض يلدغه هذا العرض الآخر. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي١٥١/٧.

والآفات، والأصل أن النهش من صفات الحيوان المفترس، فيكون هذا الإسناد من قبيل الاستعارة المكنية، "وعبر عن عروض الآفة بالنهش وهو لدغ ذات السم، مبالغة في الإصابة وتألم الإنسان بها"(١)، وفي هذا دلالة على تكدر عيش ابن آدم في الحياة الدنيا، فالراحة الحقيقية تكون في الجنة.

ومثل قوله ﷺ لحكيم بن حزام –حين كرر سؤال النبي ﷺ الصدقة–: " وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى"(٢)، فالعليا والسفلى استعارتان أصليتان، فـ " الْمُرَادُ مِنَ الْيَدِ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَمِنَ الْيَدِ السُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ"(٣)، " وَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُعْطِيَةُ وَالْيَدُ السُّفْلَى هِيَ الْآخِذَةُ"(٤).

وفي هذا العدول تشريف وتعظيم لليد المنفقة، وتقليل من شأن اليد السائلة، مما يتناسب مع سياق ذم كثرة سؤال الصدقة والإلحاح عليها.

ومثل قوله ﷺ: "انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ"(٥)، فالتعبير بأسفل منكم استعارة أصلية للأقل والأدنى في النعمة، والتعبير بفوقكم استعارة أصلية للأكثر والأفضل في النعمة، فالفوقية " مَجَازٌ فِي تَنَاهِي الْفَضْلِ وَالسِّيَادَةِ كَمَا اسْتُعِيرَ التَّحْتُ لِحَالَةِ الْمَفْضُولِ وَالْمُسَخَّرِ وَالْمَمْلُوكِ"(٦).

ومثل قوله ﷺ عن المسلمين العاصين الذين يعذبون في النار: "ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ"(٧)، أي تشملهم الرحمة، والإدراك

(١) تحفة الأحوذي ١٥١/٧.
(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ –رقم ٢٤٦٣.
(٣) تحفة الأحوذي ١٦٣/٧.
(٤) التحرير والتنوير ١٥٨/٢٦.
(٥) سنن الترمذي باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ – رقم الحديث ٢٥١٣.
(٦) التحرير والتنوير ٢٩٧/٢.
(٧) بَاب ملحق بباب مَا جَاءَ أَنَّ لِلنَّارِ نَفَسَيْنِ، وَمَا ذُكِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ–رقم ٢٥٩٧.

عبارة عن الوصول واللحوق[١]، وأصل الإدراك في اللغة بلوغ الشيء وتمامه[٢]، فيكون في هذا الكلام عدول بالاستعارة التبعية؛ للمبالغة في إحاطة الرحمة بهم من كل جانب، وهذا يتناسب مع سياق بيان إنعامه تعالى عليهم.

ومثل قوله ﷺ: "إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ"[٣]، فقوله: " مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ" استعارة تمثيلية لأصحاب البدع ومن ترك السنة الصحيحة، أو لمن ارتد عن دينه[٤]، حيث استعار هيئة الارتداد على العقب لمن ترك السنة الصحيحة " وَالرُّجُوعُ عَلَى الْعَقِبِ أَسْوَأُ أَحْوَالِ الرَّاجِعِ فِي مَشْيِهِ عَلَى وَجْهِهِ، فَلِذَلِكَ شُبِّهَ الْمُرْتَدُّ فِي الدِّينِ بِهِ"[٥]، وفي هذا العدول ذم وتبكيت لهؤلاء المرتدين.

العدول بأسلوب الكناية:

مثل قوله ﷺ: "وَإِنْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فَلَا تَعُدُّوهُ"[٦]، كناية عن الشهرة والرياء، وفي هذا العدول تحويل المعنى العقلي إلى صورة حسية، ربطت بين رغبة المرائي في الشهرة وحرصه عليها وبين تحقق مراده، فإشارة الناس إليه بالأصابع أكد تحقق مراده، يقول تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس مادة "د ر ك".

(٢) ينظر: معجم الفروق اللغوية ص٥٦٨- الفرق بين الوجدان والإدراك.

(٣) بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الحَشْرِ- رقم ٢٤٢٣.

(٤) فُسر المرتد على عقبه على ثلاثة أقوال، قيل: هم المنافقون والمرتدون، وقيل: المراد من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد بعده، وقيل: المراد أصحاب المعاصي الكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام. ينظر: تحفة الأحوذي ٧/ ١٠٩.

(٥) البحر المحيط لأبي حيان- ١٧/٢- المحقق: صدقي محمد جميل-الناشر: دار الفكر- بيروت-الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٦) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ - رقم ٢٤٥٣.

﴿ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ {هود:١٥}" ، ولكن لا حظ له في الآخرة فقوله ﷺ: " فَلَا تَعُدُّوهُ" أي: لا تحسبوه من الصالحين(١).

ومثل قوله ﷺ: " لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتّى يُسْأَلَ ..."(٢)، وزوال القدم كناية عن ترك المكان والبرح منه، وفي هذا العدول تحويل المعنى العقلي إلى صورة حسية؛ للمبالغة في عدم مقدرة الإنسان على مغادرة مكانه يوم القيامة حتى يسأل.

ومثل قوله ﷺ: " فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] "(٣)، فالعبد الصالح كناية عن سيدنا عيسى عليه السلام، وفي هذا العدول تشريف له عليه السلام وبيان فضله.

العدول بأسلوب التورية:

ومنها قوله ﷺ: " إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ رِجَالًا وَرُكْبَانًا، وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ"(٤)، فلفظ "رجالا" لها معنيان أحدهما قريب غير مراد، وهو جمع رجُل، والآخر بعيد، وهو جمع راجل، أي: ماش(٥)، وهو المعنى المراد، وهذا العدول اللفظي يمثل فصاحة النبي ﷺ، وجزالة ألفاظه، فلفظ رجال أبلغ وأوجز من لفظ ماشين على أرجلهم، وقد ورد لفظ رجال بهذا المعنى في القرآن الكريم في موضعين(٦).

ومثل قوله ﷺ:" الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ"(٧)، فلفظ "دان" لها معنيان، أحدهما قريب مأخوذ دان الرجل، أي: أَخَذَ الدَّيْنَ، والآخر بعيد،

---

(١) ينظر: تحفة الأحوذي ١٤٩/٧.

(٢) بَابٌ فِي الْقِيَامَةِ – رقم ٢٤١٧.

(٣) بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الحَشْرِ– رقم ٢٤٢٣.

(٤) بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الحَشْرِ – رقم ٢٤٢٤.

(٥) ينظر: لسان العرب مادة "ر ج ل".

(٦) سورة البقرة آية ٢٣٩، سورة الحج آية ٢٧.

(٧) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ – رقم ٢٤٥٩.

وهو مأخوذ من دَانَ نَفْسَهُ، أَي: أَذلها وَاسْتَعْبَدَهَا، وَقِيلَ: حَاسَبَهَا[١]، والعدول بأسلوب التورية فيه لفت للأنظار للفظ التورية، وعمل للفكر، وهذا يتناسب مع إيقاظ العقول وحث النفس على محاسبة النفس وإذلالها بالعبادة لله تعالى.

ومثل قوله ﷺ: " إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ البَيْنِ فَإِنَّهَا الحَالِقَةُ"[٢]، وفي رواية أخرى: " دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ"[٣]، ولفظ "الحالقة" لها معنيان، القريب مأخوذة من حلق الشعر، والبعيد أي: الخَصْلة الَّتِي مِنْ شأْنها أَن تَحْلق، أَي: تُهْلِك وتَسْتَأْصِل الدِّينَ كَمَا تَسْتأْصِل المُوسَى الشَّعْرَ[٤]، وفي هذا العدول لفت للأنظار وإيقاظ للفكر، يتناسب مع ذم فساد البين[٥] والحسد والبغضاء.

(١) ينظر: لسان العرب مادة "د ي ن".

(٢) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ رقم ٢٥٠٨.

(٣) باب ملحق بباب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ – رقم ٢٥١٠.

(٤) ينظر: لسان العرب مادة " ح ل ق"، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٤٢٨/١– لمجد الدين أبي السعادات المبارك الجزري ابن الأثير– تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي – الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٥) فسرها الترمذي بقوله: وَسُوءَ ذَاتِ البَيْنِ إِنَّمَا يَعْنِي العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ– سنن الترمذي ٦٦٣/٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفق وأعان، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد،،،

فبفضل الله ومنه انتهيت من هذا البحث الذي جال في كلام خير البرية ﷺ؛ ليقف على ظاهرة العدول الأسلوبية وبلاغتها، مستنتجة بعض النتائج، والتي منها:

- تراثية ظاهرة العدول بمعناها ومبناها، حيث تناثر الحديث عنها وعن أساليبها في كتب التراث، ثم جاءت الدراسات الحديثة وأولتها بعض العناية والاهتمام، فدرستها دراسة مستقلة وجمعت بعض أساليبها المتناثرة، مما جعل القضية تبرز وتتضح.
- تعدد أساليب العدول البلاغية وتنوعها في الأحاديث التي تم دراستها، فكان منها أساليب عدول تركيبية(خاصة بعلم المعاني) مثل المجاز العقلي، والتقديم والتأخير، والحذف، والأسلوب الحكيم، والتغليب...، وكان منها أساليب عدول بيانية(خاصة بعلم البيان) من تشبيه واستعارة وكناية، وأساليب عدول بديعية مثل التورية.
- تناسب أساليب العدول مع سياقاتها، فكان العدول مطابقًا لمقتضى الحال، والكلام يطابق مقتضى حاله بخروجه على مقتضى الظاهر وبخروجه على خلاف مقتضى الظاهر، فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وليس لمقتضى ظاهر الحال، والكلام البليغ لم يخرج على خلاف مقتضى الظاهر إلا لنكات وأسرار بلاغية تتناسب مع السياق وحالي المتكلم والمخاطب.
- كثرة العدول عن الخبر الابتدائي إلى الخبر الطلبي أو الإنكاري، وكان التأكيد ناظرًا للخبر ذاته من حيث عظمته وأهميته، وهذا يتناسب مع

أحاديث وصف أهوال يوم القيامة والجنة والنار، فهي من الأمور الغيبية التي تقتضي التأكيد عليها.

- كثرة العدول بأسلوب حذف الفاعل مع الأفعال الخاصة بالله تعالى، مثل حشر الخلق يوم القيامة، وحسابهم، ومغفرة ذنوبهم، وكف همهم، وسبب هذا الحذف هو تعين الفاعل، ويتناسب هذا الحذف مع سياقات وصف أهوال القيامة والجنة والنار؛ إذ لا خلاف في هذا الوقت على الفاعل، وإنما الغرض ينصب على وصف الفعل وما بعده.
- مجيء أغلب الصور البيانية حسية مشاهدة؛ وذلك يتناسب مع أبواب وصف القيامة والجنة والنار، فهي من الأمور الغيبية التي تحتاج في وصفها إلى الصور الحسية؛ لتثبيتها في النفوس وتقريرها والتأكيد عليها.

هذا **وتوصي الباحثة** بمدارسة النظريات الحديثة وتطبيقها على مختلف النصوص، والرجوع بها إلى منبعها في كتب العلماء القدماء، فبذرة التأصيل نابعة من فكرهم، وفي هذا تأكيد على زخر التراث وغزارة منبعه، كما فيه ربط بين الجديد والقديم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولًا- الكتب:

- إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث- لأبي البقاء العكبري - وثقه وعلق عليه: وحيد عبد السّلام بالى، محمّد زكي عبد الديم-الناشر: دار ابن رجب-الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي-المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب-الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- ارتشاف الضرب- تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد-مراجعة: رمضان عبد التواب-الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة-الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨.
- أساليب بلاغية لأحمد مطلوب-الناشر: وكالة المطبوعات - الكويت- الطبعة: الأولى، ١٩٨٠ م.
- أسرار البلاغة- قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر-الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية- د حسن طبل- دار الفكر العربي- القاهرة- الطبعة الثانية ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.
- الأسلوبية والأسلوب د عبد السلام المسدي- الدار العربية للكتاب- ليبيا- الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.
- الأصول في النحو لابن السراج باب التقديم والتأخير-المحقق: عبد الحسين الفتلي- الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم-لعصام الدين الحنفي- حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية "التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة" د/ عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية- بيروت- ٢٠٠٨م.
- إعجاز القرآن للباقلاني-المحقق: السيد أحمد صقر- الناشر: دار المعارف - مصر- الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.
- الأعلام للزركلي- الناشر: دار العلم للملايين- الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين- لأبي البركات الأنباري- الناشر: دار الفكر - دمشق.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك- لابن هشام-المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي- الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الإيضاح للقزويني-الناشر: دار إحياء العلوم - بيروت-الطبعة الرابعة، ١٩٩٨.
- البحر المحيط لأبي حيان- المحقق: صدقي محمد جميل-الناشر: دار الفكر- بيروت- الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي-المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م- الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي- الناشر: مكتبة الآداب- الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي-الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- البلاغة والأسلوبية د/ محمد عبد المطلب- مكتبة لبنان- ناشرون-بيروت- الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني- د/ تمام حسان-عالم الكتب للنشر- الطبعة الأولى ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة- المحقق: إبراهيم شمس الدين-الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة- المحقق: إبراهيم شمس الدين-الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن- لابن أبي الأصبع- تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف-الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور-الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس- سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري- المحقق: عبد الوهاب بن عبد اللطيف-الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة-الطبعة: الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- الجنى الداني في حروف المعاني-المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن المرادي المصري-المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل-الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- حاشية الدسوقي. المحقق: عبد الحميد هنداوي-الناشر: المكتبة العصرية،

بيروت.
- حاشية السندي على سنن ابن ماجه–المؤلف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي–الناشر: دار الجيل – بيروت، بدون طبعة.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني–لمحمد بن علي الصبان–الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان–الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م.
- الحيوان للجاحظ –تحقيق :عبد السلام محمد هارون–الناشر : دار الجيل–١٤١٦هـ – ١٩٩٦م– لبنان/ بيروت.
- خصائص التراكيب–د/ محمد محمد أبو موسى– الناشر: مكتبة وهبة–الطبعة: السابعة.
- الخصائص لابن جني–الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب–الطبعة: الرابعة.
- دلائل الإعجاز–المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر–الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة–الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- سنن الترمذي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)– وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر–الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
- شرح النووي على مسلم– شرح د/ محمد فؤاد عبد الباقي–الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس–الناشر: محمد علي بيضون–الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.
- الطراز للعلوي– الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

- عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي- المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي- الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان-الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- علم المعاني د/ عبد العزيز عتيق- الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان-الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري- حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم- الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري- المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم- الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت-عام النشر: ١٤١٩ هـ.
- الكتاب لسيبويه- المحقق: عبد السلام محمد هارون- الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة- الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- الكشاف للزمخشري- الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ .
- لسان العرب لابن منظور- الناشر: دار صادر – بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- المثل السائر لابن الأثير- المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة- الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.
- مجاز القرآن لأبي عبيدة، وما بعدها-المحقق: محمد فواد سزگين- الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة- الطبعة: ١٣٨١ هـ.
- مسند الإمام أحمد-المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون- إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- المطول لسعد الدين التفتازاني–الناشر المكتبة الأزهرية للتراث– ١٣٣٠هـ.
- معاني النحو – د. فاضل صالح السامرائي–الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن–الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام–المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله–الناشر: دار الفكر–دمشق–الطبعة: السادسة، ١٩٨٥.
- مفتاح العلوم للسكاكي– ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور– الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان–الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- مقاييس اللغة لابن فارس المحقق: عبد السلام محمد هارون–الناشر: دار الفكر–عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- من أسرار التعبير القرآني– دراسة تحليلية لسورة الأحزاب– د/ محمد محد أبو موسى– مكتبة وهبة.
- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم– د/ محمد الأمين الخضري– مكتبة وهبة–القاهرة– الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- من بلاغة النظم القرآني– دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم– د/ بسيوني عبد الفتاح فيود– مؤسسة المختار للنشر والتوزيع–الطبعة الأولى ١٤٣١هـ=٢٠١٠م.
- نظرية اللغة في النقد العربي د/عبد الحكيم راضي–المجلس الأعلى للثقافة– الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- النكت في إعجاز القرآن للرماني– المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام– الناشر: دار المعارف بمصر– الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر– لمجد الدين أبي السعادات المبارك

الجزري ابن الأثير– تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي –الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

ثانيًا– الحوليات والرسائل العلمية والمقالات:

– بلاغة العدول في البنية التركيبية في سورة الملك – د/ عبده محمد صالح– مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية– العدد ع١١–٢٠١٤م.

– العدول بين القدماء والمحدثين دراسة نقدية– د/ محمد مبروك جمعة– حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة– العدد الخامس والعشرون– المجلد الثاني–٢٠٠٧م.

– العدول عن التذكير إلى التأنيث في القرآن الكريم ودلالته اللغوية في فهم النص وتفسيره دراسة صرفية تحليلية– د/ مطر عبدالله إسحق الجزولي– مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية– المجلد ٣ العدد٤– أبريل ٢٠٢٢م.

– المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة– د/ تمام حسان–مجلة فصول– الهيئة المصرية العامة للكتاب– سبتمبر١٩٨٧م.

– المفارقة في التراث النقدي– إعداد فادية محمد عبد السلام–مجلة البحث العلمي في الآداب– العدد الثامن عشر ٢٠١٧م–الجزء الثاني.

– مقاصد العدول الصرفي في سورة البقرة د حشلافي لخضر– جامعة الجلفة– كلية الآداب واللغات والفنون– الجزائر– المجلد ٢٠١٥– العدد ٤(s).

– المنظومة الاصطلاحية للبلاغة العربية وأهميتها في التحليل البلاغي د/ مسعود بودحة– مجلة مقاليد العدد الثاني ديسمبر ٢٠١١م–جامعة سطيف– الجزائر.

– مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم– ظافر بن غرمان العمري– رسالة دكتوراه– جامعة أم القرى–المملكة العربية السعودية ٢٠٠٤م.

- ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي د/ صالح عبد العظيم الشاعر- مقال على الشبكة العنكبوتية ينظر موقع:

./https://www.academia.edu

- مقال كتاب سنن الترمذي- بواسطة Alaa Hejjo- ٧ أكتوبر ٢٠١٨م- موقع mawdoo3.com.

Sources and references

Al-Quran Al-Karim

First: Books

- Ithaf Al-Hatith by expressing what constitutes the words of hadith - by Abu Al-Baqa Al-Akbari - documented and commented on: Waheed Abdel Salam Bali, Muhammad Zaki Abdel Deem - Publisher: Dar Ibn Rajab - First Edition, 1418 AH - 1998 AD.
- Proficiency in the Sciences of the Qur'an by Al-Suyuti - editor: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim - Publisher: Egyptian General Book Authority - Edition: 1394 AH / 1974 AD.
- Irtishaf al-Darb - explanation and study: Rajab Othman Muhammad - review: Ramadan Abdel Tawab - Publisher: Al-Khanji Library in Cairo – First Edition, 1418 AH - 1998.
- Rhetorical Methods of Ahmed Matloob - Publisher: Publications Agency - Kuwait - First Edition, 1980 AD.
- Asrar al-Balaghah - read and commented on: Mahmoud Mohamed Shaker - Publisher: Al-Madani Press in Cairo, Dar Al-Madani in Jeddah.
-The method of attention in Quranic rhetoric - Dr. Hassan Tabl - Dar Al-Fikr Al-Arabi - Cairo - Second Edition

1418 AH = 1998 AD.

- Stylistics and style Dr. Abdul Salam Al-Masadi - Arab Book House - Libya - Third Edition 1982.
- Al-Usul in Grammar by Ibn al-Sarraj Chapter of Introduction and Delay - Investigator: Abdul Hussein Al-Fatli - Publisher: Al-Resala Foundation, Lebanon - Beirut.
- Al-Atwal explanation of Talkhis Miftah al-Ulum- by Essam al-Din al-Hanafi - achieved and commented on: Abdel Hamid Hindawi - Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon.
- Morphological miracles in the Holy Qur'an, an applied theoretical study, "rhetorical employment of the word form", Dr. Abdul Hamid Ahmed Youssef Hindawi, Al-Asriya Library, Beirut, 2008.
- The Miracle of the Qur'an by Al-Baqlani – edited by: Al-Sayyid Ahmed Saqr - Publisher: Dar Al-Maaref - Egypt - Edition: Fifth, 1997 AD.
- Al-A'lam by Zarkali - Publisher: Dar Al-Ilm Li Malayin - Edition: Fifteenth - May 2002.
- Al'iinsaf fi Masayil al-khilaf between the grammarians of Basra and Kufic - by Abu al-Barakat al-Anbari - Publisher: Dar al-Fikr - Damascus

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤٦٥
التمهيد	٤٦٨
العدول بين القدماء والمحدثين	٤٦٨
فصاحة الرسول ﷺ وبلاغته	٤٧٧
نبذة عن الإمام الترمذي وكتابه	٤٧٧
المبحث الأول: من أساليب وصور العدول البلاغي من خلال كتب التراث	٤٧٩
المبحث الثاني: من أساليب وصور العدول البلاغي في أبواب سنن الترمذي محل الدراسة	٤٩٩
الخاتمة	٥٣٢
المصادر والمراجع	٥٣٤
فهرس الموضوعات	٥٤٤